العدد العاشر - مجلة دورية تصدر عن مركز دلائل - ١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

رؤى
لبناء فكري متجدد

التفرد بين الجنسين في الإسلام وأهمية الآباء

ترجمة: أ. محمود مصطفى الحكيم

حوار العدد

مع الدكتورة سيلين إبراهيم

دورة طوكيو للألعاب الأولمبية - تجول في الرياضة النسائية؟ أم في قضايا المرأة؟

أ.وداد محمود بامنت

مجلة أوج
مجلة فكرية شبابية منوّعة؛
لحياة عصرية متجددة، تناسب
القارئ المهتم والمتخصص

العدد (١٠)
عام ١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

تصدر عن مركز دلائل
dalailcentre.com

نرحب بآرائكم ومشاركاتكم عبر البريد
Aog@dalailcentre.com

المشرف العام
أ.د. خالد بن منصور الدريس

مستشار المجلة
م.أحمد حسن
أ.رضا زيدان

رئاسة تحرير المجلة
أ.سارة العتيبي
أ.فاطمة محمد

الآراء المنشورة في أوج
تمثل أصحابها

تصميم
مرسم
MARSAMDESIGN

الأعداد السابقة

محتويات

٨

الدجال..مقاربة واقعية

أ.بدر الشهري

١١

دورة طوكيو للألعاب الأولمبية
تحول في الرياضة النسائية
أم في قضايا المرأة

د.وداد محمود بامنت

١٩

اجتياحات التحول
وعصر اللاطفولة

أ.سامي الحربي

٢٣

حوار العدد..
حوار مع الدكتورة سيلين إبراهيم

٣١

الاستعراض القاروني

أ.هلا العريفي

محتويات

٣٦
نماذج لشخصيات ناقدة للجندر
بين شابيرو

٣٨
المجتمع على الأهواء الشخصية في اعترافات قناع ليوكيوميشيما
أ.زيدان الدين محمد

٤٢
النسوية والإسلام: الجندر بوصفه مدخلا عقديا للإلحاد واللادينية
أ.الحارث عبدالله بابكر

٥٠
التفرد بين الجنسين في الإسلام وأهمية الآباء
أ.محمد الشناوي و د. طاهر خواجة
ترجمة :أ. محمود مصطفى الحكيم

٦٨
نماذج لشخصيات ناقدة للجندر
ليوناردو ساكس

٧٠
مقترحات قرائية
أ.سامية العمري

www.dalailcentre.com

AwjYM

الكلمة الافتتاحية

«تلك عشرة كاملة»..

أتمت أوج عددها العاشر، ولا زال في جعبتها الكثير والكثير لتقدمه لقرائها وجمهورها العزيز، وقد حرصنا في جميع أعداد أوج أن نستضيف شخصيات لامعة ومتبحرة في مجالها، وعمدنا أن نلقي الضوء على ما يستحق أن يضاء ويُبصر، كما حرصنا على التنوع الموضوعي والمعرفي في مجالات العلم الشاسعة. وفي خلال هذه المسيرة تعرفنا على أقلام شبابية واعدة، متنوعة المشارب، تتوزع على الرقعة الجغرافية للعالم الإسلامي، لها مستقبل مشرق لأمتها بإذن الله، وطموحنا أن تستمر أوج للوصول إلى جمهورها في كل مكان، وتحقق طموحها في بناء فكري متجدد.

رئاسة التحرير

الدجال.. مقاربة واقعية

أ. بدر الشهري
باحث دكتوراة تربية

تحتل أحاديث الفتن مساحة مهمة من النصوص النبوية، فالفتن بعمومها قدر إلهي كوني، لذا كان البيان النبوي لها بياناً مستفيضاً، يقول البرزنجي: «فأكثر النبي صلى الله عليه وسلم من بيان أشراطها وأماراتها وما بين يديها من الفتن القريبة والبعيدة ليكون أهل كل قرن على حذر منها متهيئين لها.. فأخبر النبي عن جميع الفتن والأشراط الكائنة قبلها فاسأل به خبيرا، فبلغ وبالغ وحذر أمته الفتن عموما والدجال خصوصاً»(١)

وأحاديث الفتن رغم أن فيها تخصيص بأزمان وأحوال وأشخاص، إلا أنها تتخذ غالباً أشكالاً من العمومية والتكرار، التي تدعو بطبيعتها إلى الاستعداد والاعتبار كما كان التوجيه النبوي عن سؤال متى الساعة، فقال عليه الصلاة والسلام: «ويلك ما أعددت لها»(٢)

وفي هذا يقول ابن كثير: «وإن كانت أشراط الساعة أعم من أن تكون بين يديها قريباً فإنها تكون مما يقع في الجملة ولو تقدم قبلها بدهر طويل»(٣)

وفتنة الدجال كأحد الفتن العظيمة التي جعلت الصحابة يهتمون لها ويكثرون السؤال عنها وعن تفاصيلها حتى يقول المغيرة بن شعبة: «ما سأل أحد النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال أكثر مما سألت، قال وما ينصبك منه»(٤). بمعنى أنهم قد وصلوا إلى حالة من النصب والاهتمام لشأنه، كما في حديث النواس بن سمعان الذي فيه ذِكر الدجال قال: «فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا».

وفي تناولنا لفتنة الدجال محاولة لاستلهام بعض العبر التي يمكن الإفادة منها في الواقع الدعوي والتربوي، باعتبارها فتنة تتسم بالدجل والتلبيس وقلب الحقائق والذي يكون عادة مقروناً بالخوارق التي قد تدهش البعض، أو تخرق عادة الزمان أو الحدث، وهي على هذا الاعتبار فتنة متسعة زمانياً، ومتكررة واقعياً، يؤكد ذلك شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله فيقول: «وفتنة المسيح الدجال لا تختص بالموجودين في زمانه، بل حقيقة فتنته الباطل المخالف للشريعة، المقرون بالخوارق، فمن أقر بما يخالف الشريعة لخارق فقد أصابه نوع من هذه الفتنة»(٥)

ويمكن أن نتناول بعض الدروس من هذه الفتنة من النواحي التالية:

◀◀◀ الفتن والإحساس المتيقظ:

في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، قال: «ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة، فخفّض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، قال: غير الدجال أخوفني عليكم، فإن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم»(٦)

الخشية من الفتن التي جعلت الصحابة يخافون من فتنة الدجال لشعورهم أنه قريب منهم، هي شأن الإحساس المتيقظ من الفتن، خاصة حين تكثر أشكالها ويعظم تأثيرها، فبعض الفتن لا تكتسب صعوبتها من نفسها بل بمَحِل تأثيرها في الانسان، وهذا ما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يخفض في شأن الدجال ويرفع، فالفتنة قد تكون في ذاتها هينة، لكن حجم تأثيرها يختلف مقارنة بما يقابلها من مناعة معرفية وإيمانية «وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه»، وتتضح أهمية الإحساس المتيقظ للفتن بشكل خاص في الفتن أو الأحداث التي تتصف بشيوع اللبس وعدم الوضوح واختلاط الأمور، سواء كان ذلك شكلاً طبيعياً أفرزته تلك الفتنة أو الحدث، أو شكلاً مصطنعاً أُريد له التعتيم والتظليل، فإن التأثر بها يكون بقدر القرب من مظانها أو الولوج في تفاصيلها أو بكثرة متابعتها، وفي الغالب يكون هذا التأثر خفياً متدرجاً أو موهماً بتبريرات مصلحية يتكشف وهنها مع الزمن .

◀◀◀ الدجل بين التطويع والانتشار:

الدجل باعتباره فتنة تحمل صفة المخادعة والتلبيس والتغطية، تكمن خطورتها في حالة التباس الحق والباطل، فالمسيح الدجال يأتي القوم فيدعوهم فيستجيبون له ويؤمنون به، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر... كل هذه الخوارق الخادعة تجعل البعض لا يعرف الحق من الباطل، وهكذا دجاجلة اليوم يملكون من أدوات التطويع ما يمكنهم من خداع الناس بضغطة زر، أو بمشهد مصطنع، أو بقدرة مزعومة، أو بكلمة يسيرة تضج بها وسائل التواصل، وفي حديث الدجال: «فعاث يميناً وعاث شمالاً» في تصويرٍ لمشهد من مشاهد إفساده، مع انتشار سريع لآثار هذا الافساد: «فلا يجدون موضع شبرٍ إلا وقد ملأه زهمهم ونتنهم»، وهذه هي طبيعة الفتن الخداعة في تطويع أفكار الناس وانتشار الباطل بينهم .

◀◀◀ الدجال وسورة الكهف:

ترتبط سورة الكهف بفتنة الدجال ارتباطاً وثيقاً من حيث مقاصدها في ترسيخ الحقائق أولاً، وفي الاعتصام من الفتن بشكل عام، كيف وهذه السورة احتوت على عرض لفتن الدين والمال والعلم والمُلك: «وهذه السورة الفريدة التي تحتوي على أكبر مادة وأغزرها فيما يتصل بفتن العهد الأخير التي يتزعمها الدجال ويتولى كبرها، والتي تحوي كذلك على أكبر مقدار من الترياق الذي يدفع سموم الدجال، ومن ثم فهي تهيء العقول والنفوس لمحاربة هذه الفتنة ومقاومتها، كما أن فيها روحاً تعارض التدجيل وزعمائه ومنهج تفكيرهم وخطة حياتهم في وضوح ودقة»(٧)

كما أن في هذه السورة إعمال للحلول في مواجهة الفتن، وهكذا في بعض الفتن التي لا يمكن أن تُقاوَم إلا باصطناع الكهوف التي تحمي الفتية المؤمنة، بما فيها من انعزالٍ محمود، قد يضطروا أن يخرجوا بورقِهم إلى المدينة، لكنهم يعلمون أنهم في حال اضطرار يلزمهم في زمن الفتنة إن يلزموا كهوفهم: «فقد تشتد الحال، ويضيق الخناق، ويستحيل الجمع بين الحياة والحرية، وبين الإيمان والعقيدة، فلا تبقى للمسلمين حيلة إلا الفرار من المجتمع واللجوء إلى العزلة، وتلك حال لا تعرض إلا في حقب متطاولة وأزمات نادرة»(٨)، يقول السعدي في معرض حديثه عن فوائد قصة أصحاب الكهف: «ومنها: الحث على التحرز والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك على الانسان وعلى إخوانه في الدين»(٩)

ومن الحلول التي جاءت الإشارة إليها في سورة الكهف هو إلزام النفس بصحبة صالحة تشكل بيئة مقاومة للفتن، كما جاء التحذير من صرف البصر عنهم إلى ملذات الدنيا، وكأن ضغط الفتن وثقلها قد يصرف البعض إلى صحبة أخرى من صفاتها الغفلة واتباع الهوى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ الكهف/٢٨.

كذلك فإن الفتن والمحن تولد كهوفاً جديدة، تمثل حلولاً للفئة المؤمنة في استبقاء قوتها، وتعبئة أفرادها، وتجديد وسائلها: «فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم، فيطلب الدجال حتى يدركه فيقتله، ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم».

◀◀◀ الفتن بين التهوين والتهويل:

ورد في أحاديث الدجال عددٌ من التوجيهات النبوية بعدم تهويل هذه الفتنة، كما في حديث المغيرة السابق: «وما ينصبك منه، إنه لا يضرك»، «هو أهون عند الله من ذلك»، ثم يكون التوجيه نحو العمل والمسؤولية الفردية في مثل: «يا عباد الله اثبتوا»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «وإن يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حجيج نفسه».

إن تهويل حال الفتنة حتى يكون مُقعِداً عن العمل، مستسلماً لخطاب التهويل تارة، أو للخطاب السكوني المتدثر بالأعذار تارة أخرى، مخالف لفقه التعامل مع الفتن، كما هو الحال مع تهوين الفتنة، ففي حديث الدجال: «لا يدان لك بقتالهم»، فالباطل عادة ما يمتلك أدوات التأثير التي لا يدان لنا بمواجهتها، ومن الحكمة والفقه أن نتحرر أحياناً من أوهام القوة أو القدرة التأثيرية التي لا يسعفها الواقع، لكن غربة الفتن وأحوال القصور مدعاة للعمل، مؤذنة بالفرج، والله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

١) الإشاعة لأشراط الساعة/ محمد بن رسول الحسيني البرزنجي، ص ٢٥.

٢) صحيح البخاري.

٣) النهاية في الفتن والملاحم/ ابن كثير (٢٠/١).

٤) صحيح مسلم.

٥) السبعينية، مجموع الفتاوى (١٣٣/٥).

٦) صحيح مسلم.

٧) الصراع بين الإيمان والمادية: تأملات في سورة الكهف/ علي الحسني الندوي، ص ٩

٨) المصدر السابق، ص ٥١

٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ عبد الرحمن ناصر السعدي، ص ٤٧٣.

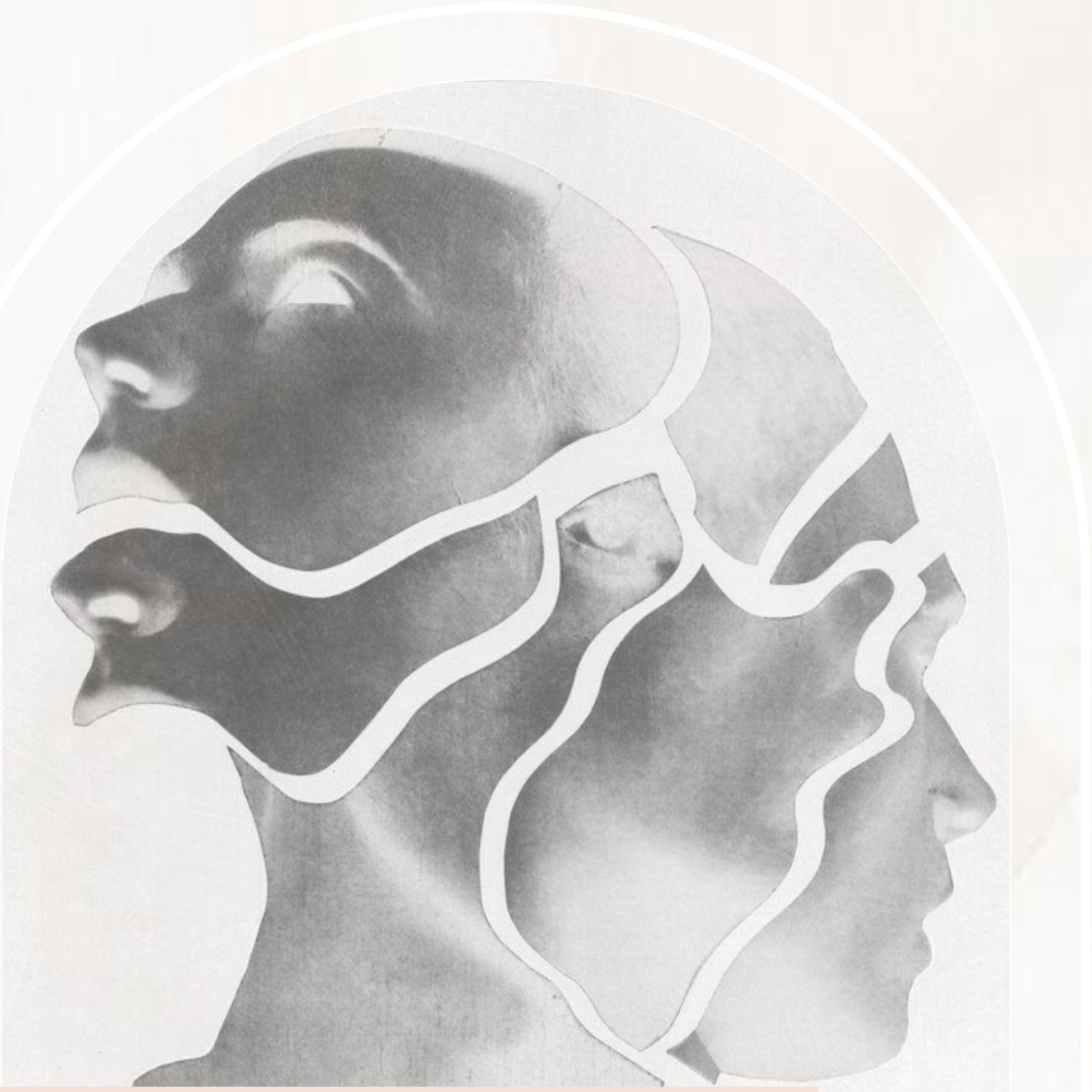

دورة طوكيو للألعاب الأولمبية - تحول في الرياضة النسائية أم في قضايا النساء؟

د. وداد محمود سعيد بامنت
أكاديمية وباحثة.
d.widadbament@gmail.com

دورة طوكيو للألعاب الأولمبية هذا العام بلا شك تعد دورة استثنائية، فقد أقيمت بعد أن تم تأجيلها عاماً؛ نسبة لظروف وباء كوفيد ١٩، لهذا فإن هذه الدورة تعتبر الدورة الأولى من نوعها في تاريخ دورة الألعاب الأولمبية التي أقيمت من دون متفرجين على مدرجات الملاعب الأولمبية، نظراً للاحترازات الصحية العالية؛ مما أثر على أنظمة التدريب واستضافة اللاعبين وحركتهم، وغير ذلك من الترتيبات المتصلة بهذه الدورة.

الاستثناء الآخر لهذه الدورة، هو الجدل الكبير الذي أثارته في قضايا النسوية، فالدورة ابتداءً قوبلت باحتفاء كبير من الأوساط النسوية والمهتمة بقضايا المرأة، إذ اعتبرت نقطة تحول في المنافسة الرياضية الدولية لجهة المساواة بين الجنسين في تاريخ الأولمبياد. حيث مثلت النساء ما يقرب من ٤٩٪ من جملة ١٠٩٠ رياضيًا. بارتفاع مقدر في نسبة التمثيل عما كان في الدورة السابقة لها في ريو دي جانيرو عام ٢٠١٦، والتي كانت نسبة تمثيل النساء فيها ٤٥ ٪.

إلى جانب نسب مشاركة النساء غير المسبوقة، حيث اعتبرتها الأمم المتحدة خطوة في تحقيق المساواة وتمكين للفتيات والنساء؛ قدّمت الدورة العديد من الأحداث المتسارعة والمثيرة للجدل فيما يخص النساء، فبدأت باستقالة رئيس اللجنة التنظيمية «يوشيرو موري» بعد رد الفعل العنيف على التعليقات التي أدلى بها حول رأيه من أن النساء يتحدثن كثيرًا في الاجتماعات، حيث اعتبرت تلك التصريحات متحيزة ضد النساء. وحلت محله «سيكو هاشيموتو»، الحائزة على جوائز أولمبية.

وعلى غير المعتاد، كان الأولمبياد مسرحاً لنقاشات تتعلق باحتياجات الأمهات من اللاعبات فيما يتعلق بقضايا الحمل والرضاعة الطبيعية ورعاية الأطفال، وذلك بعد أن أثار منع الرياضيات المرضعات من العناية بأطفالهن خلال المشاركة بالأولمبياد استياءً وانزعاجا، فاحتجت عدد من الرياضيات على سياسة الأولمبياد واعتبرنها غير منصفة بحقهن وحق أطفالهن وحرمانهم من الرعاية الطبيعية، لا لسبب سوى مشاركة أمهاتهم في الحدث الرياضي. حيث قالت لاعبة كرة السلة الكندية، كيم جوشر إن القرار يعني أنها مضطرة «للاختيار بين أن تكون إما مرضعة أو رياضية أولمبية».

فسمحت السلطات اليابانية المختصة للرياضيات بإحضار أطفالهن الذين يحتاجون إلى رعاية، ولكنها قررت وضعهم في فندق يخضع لحجر صحي بعيدا عن القرية الأولمبية. وهذا أيضا لم يرق لبعض الرياضيات كما أوضحت السباحة الإسبانية أونا كاربونيل، في مقطع مصور بثته على حسابها في تطبيق «إنستغرام» قالت فيه؛ إن بقاء طفلها في مكان بعيد عن مقر إقامتها في القرية الأولمبية يعد أمراً غير ذي جدوى، وأشارت الى أن هذا الموضوع أصبح محور نقاش للاعبات، وفيما إذا كان ينبغي عليهن الاختيار بين الأسرة والرضاعة الطبيعية، أو المشاركة في الألعاب الأولمبية».

كان نتاج تلك المناقشات؛ أن اضطرت اللجنة المنظمة لتعديل سياستها للسماح للأمهات المرضعات بإحضار أطفالهن، بعد دراسة متأنية للوضع، معلنةً في بيان. «إذا أردنا دعم الرياضيات، فإن جزءًا من كونك رياضية هو تكوين أسرة أيضًا، وإذا كنت تريد دعمي كرياضية كاملة، فيجب أن تكون قادرًا على إفساح المجال لعائلتي».

صدور بيان يحمل هذه العبارات من اللجنة المنظمة، وبروز مثل هذه الآراء وغيرها من بعض الرياضيات المشاركات -مما نستطرق لبعضها لاحقا -تعد للمتابع والمهتم بتطورات الحركة النسوية وتياراتها المتعددة؛ انعطافا كبيرا في لغة النسوية، ما يستدعي إعادة قراءة ناقدة لأسبابها وتداعياتها على حقيقة ومستقبل الفكر والحراك النسوي.

وللإيضاح أكثر؛ نوجز تطور الحركات النسوية الغربية، التي بدأت بالموجة الأولى عندما كان هدفها مطالبة النسويات بالحقوق العامة التي يتمتع بها الرجل، وكانت مطالبها في المساواة تنحصر في طلب الكرامة والقيمة، ويعد حق الانتخاب القضية الأبرز لهذه الموجة وكانت نتائجها: أن تمتعت المرأة بحقوق المواطنة في إنجلترا وأمريكا والاتحاد السوفيتي ونيوزلندا، فهي في المقام الأول تعتبر «حركة اجتماعية وسياسية» بامتياز.

أما الموجة الثانية للحركة النسوية، والتي بدأت في ستينيات القرن الماضي واستمرت حتى التسعينيات،

فقد كانت أفكارها أكثر راديكالية من خلال عنوانها العريض وهو: الحقوق الجنسية والإنجابية، ودعت إلى إعادة تشكيل الصورة الاجتماعية للأنوثة، وركزت على المنظور الجندري (الجنوسة) والذي يدل في العادة على التمييزات الاجتماعية، والثقافية، والتاريخية، بين الرجال والنساء، وأحيانا توصف بأنها دراسات التذكير والتأنيث.(١)

اعتبرت هذه الموجة؛ أن التركيز على الفروق الجنسية فعل أصولي يفترض وجود فروق ثابتة وجوهرية بين النساء والرجال؛ تحتم عليهم القيام بأفعال وسلوكيات اجتماعية متباينة. وأن القضاء على الأدوار المرتبطة بالجنسين لن يتحقق إلا بالقضاء على الأدوار الثابتة التي يقوم بها الرجل والمرأة في عملية الإنجاب، فظهرت وسائل منع الحمل والتعقيم والإجهاض والتلقيح الصناعي لتقليل التمييز البيولوجي، ومن ثم الحد من التمييز بين الجنسين في مجال السلطة. انقسمت هذه الموجة إلى العديد من التيارات؛ كالليبرالي، والاشتراكي، والماركسي وهي تيارات تمثل غالبية اتجاهات النسويات الغربيات إلى جانب التيار الراديكالي. وتضيف بحوث متعددة حول هذه التيارات؛ تيارات واتجاهات أخرى تميل إلى التخصصية؛ كالنسوية البيئية، والنسوية السوداء، والثقافية، وغيرها.

بعد الموجتين الأولى والثانية، وجدت بعض النساء الفرصة سانحة للتحرر من قيود التبعية المفروضة في النموذج القديم للمجتمعات الغربية، ولكن بالمقابل، مع تحول المجتمع إلى مجموعة أسواق وسلع متبادلة يبحث فيها الأفراد عن لذتهم أو منفعتهم المادية، فقد تحولن إلى سلع جنسية تشترى وتباع، أو يتم تبادلها، فتغير نظام التبعية القديم إلى نظام تبعية جديد يصعب الفكاك منه.

ثم جاءت بعد ذلك الموجة الثالثة للنسوية وهي متأثرة بالتفكير ما بعد البنيوي، أو ما بعد الاستعمار، التي تؤمن بالتعدد والابتعاد عن الإيديولوجيا وكسر الاحتكار من أي جهة كان، فهي تعتبر أن التحرر له طرق متعددة وغير متشابهة، وعلى كل أن يجد طريقه الخاص للحرية بنفسه، وأن تكون هذه الخيارات نابعة من قناعاته ورغباته وذاته، وليس بالضرورة أن يكون هنالك طريق واحد يتبعه الجميع.

أطلق على هذه الموجة وما تبلور عنها من أفكار مصطلح؛ ما بعد النسوية، كما استخدم بعض الباحثين المصطلح للإشارة إلى تحول زمني أو تاريخي بعد الموجة النسوية الثانية؛ بينما لا

يـزال آخـرون يسـتخدمون المصطلـح للإشـارة، فقـط، إلـى رد الفعـل العنيـف ضـد النسـوية باعتبـاره نسـقاً معرفيـا تَعدديـاً يهـدف إلـى نقـد ورفـض أنمـاط التفكيـر التـي تميـل إلـى العموميـة، ويركـز علـى دراسـة العلاقـات المثمـرة لمـا بعـد الحداثـة؛ مسـتعينا بنظريـات: الاختـلاف، والتفكيـك، والهويـة بقصـد الجمـع بيـن مختلـف طـرق تعبيـرات الفعـل النسـوي وتشـكيلاته.(٢)

الموجـة الثالثـة؛ اعتمـدت -بدرجـة كبيرة-علـى التعـدد عوضـاً عـن الثنائيـة والتنـوع بديـلاً للاتفـاق، لـذا فـإن مُنظـرات تيـار مـا بعـد الحداثـة سـاهمن بدرجـة كبيـرة فـي توفيـر الإطـار النظـري الـذي يتمحـور حـول التفكيـك والاختـلاف والهويـة، وهـو مـا أدى إلـى خلخلـة العديـد مـن القيـم التـي اسـتندت عليهـا النسـوية فـي الدفـاع عـن حقـوق المـرأة. وذهـب البعـض إلـى أن مـا بعـد النسـوية تجـاوزت رسـالتها فـي أن تكـون حركـة للتحـرر أو اسـتكمال تحـرر النسـاء إلـى حركـة مـن أجـل تغييـر العالـم.

وبصـورة عامـة، يمكـن موضعـة النشـاط النسـوي فـي مجموعتيـن؛ الأولـى تسـعى إلـى المسـاواة بشـكل كامـل بيـن الرجـال والنسـاء، وبالتالـي ترفـض أي إحالـة إلـى النـوع الجنسـي (الجنـدر) فـي المجـال الوظيفـي والاجتماعـي، ويعتبـرن؛ أن أي احتـكام للاختـلاف بإمكانـه أن يُدخـل عامـل تفـاوت بيـن الجنسـين، ويـؤدي إلـى تحديـد المـرأة بالنسـبة للرجـل. أمـا المجموعـة الثانيـة، ففضلـت اتبـاع مفهـوم الاختـلاف بـدل المسـاواة. ويريـن أن رفـض كل اختـلاف لا يحيـل إلـى الهيمنـة الذكوريـة فحسـب؛ بـل إلـى نظـام إنسـاني شـامل يتحـدد بحقـوق وليـس بصفـات مميـزة.

ومـع اختـلاف التيـارات والاتجاهـات فـي الحركـة النسـوية، بـدا مـن الواضـح أن كثيـراً مـن هـذه الاتجاهـات النسـوية أصبحـت تخـدم غايـات مختلفـة تمامـا؛ وفقـا لقناعـات أو بالأحـرى مصالـح كل فريـق. وبالعـودة إلـى نقطـة انطلاقتنـا الأولـى -دورة الألعـاب الأولمبيـة- نجـد مـا يدعـم التغيـر فـي توجهـات الحـركات النسـوية لجهـة بـروز خطـاب نسـوي جديـد، فموقـف لاعبـة الجمبـاز الأمريكيـة سيمون بايلز عبر إعلانها الانسحاب من نهائي المسابقة الكاملة لفرق السـيدات فـي أولمبيـاد طوكيـو، لمخـاوف حيـال «الصحـة النفسـية « كان لافتـاً؛ حيـن قالـت: «يجـب أن أفعـل مـا هـو مناسـب لـي، وأن أركـز علـى صحتـي النفسـية، وأن لا أعـرض صحتـي وحياتـي للخطـر»، «مشيرةً إلى أن هناك ما هو أهم فـي الحيـاة مـن الجمبـاز»، ويتضـح ذلـك فـي قولهـا: «عندمـا جئـت إلـى هنـا شـعرت بأننـي أفعـل ذلـك مـن أجـل أشـخاص آخريـن، ويؤلمنـي أن القيـام بمـا أحبـه قـد أُخـذ منـي لإرضـاء آخريـن». واختتمـت: «علينـا أيضـاً أن نركـز علـى أنفسـنا، لأنـه في نهايـة المطـاف نحـن بشـر أيضـاً، علينا حمايـة أذهاننـا وأجسـادنا بـدلاً مـن مجـرد القيـام بمـا يريـد العالـم منـا القيـام بـه». ولاقـي إعلانهـا ترحيبـاً كبيـراً فـي الأوسـاط النسـوية.

وذلـك أيضـاً؛ مـا ذهبـت إليـه هدايـة مـلاك، لاعبـة التايكونـدو المصريـة؛ حيـث ذكـرت إنهـا تفكـر فـي الحصـول علـى «راحـة» مـن التايكونـدو، لأنهـا أعطـت حياتهـا كلهـا للرياضـة مضيفـةً: «أريـد أن أجـد بعـض الوقـت لزوجـي، وكذلـك أصدقائـي الذيـن اعتـدت التنـزه معهـم، وأريـد أن أعيـش الحيـاة».

هـذه الآراء، إضافـة لموقـف اللاعبـات تجـاه أبنائهـن الرضـع،

تعـزز فكـرة التـوازن بيـن العائلـة والعمـل التـي بـرزت حديثـا فـي الفكـر النسـوي، بعـد صـدور كتـاب البروفيسـورة السـابقة فـي جامعـة برنسـتون آن-مـاري سـلاتر: «لمـاذا لا تـزال النسـاء عاجـزات عـن نيـل كل شـيء؟»، إلـى جانـب كتـاب مديـرة عمليـات فيسـبوك شـيرل سـاندبيرغ «اتكئـي: النسـاء، والعمـل، والرغبـة فـي القيـادة» (الـذي بلـغ قائمـة الكتـب الأكثـر مبيعـاً).

تصـف سـلاتر فـي كتابهـا، الأسـباب الكامنـة وراء قرارهـا تـرك وزارة الخارجيـة فـي نهايـة فتـرة ولايتهـا التـي اسـتمرت عامين كأول مديـرة لتخطيـط السياسـات. عـادت إلـى منزلهـا فـي برينسـتون -حيـث كانـت لا تـزال تشـغل منصبًـا ثابتًـا فـي مدرسـة وودرو ويلسـون للشـؤون العامـة والدوليـة- لأنهـا أرادت ببسـاطة قضـاء المزيـد مـن الوقـت مـع زوجهـا وابنيهـا المراهقيـن الذيـن لـم يرافقوهـا إلـى واشـنطن. تعكـس قصـة سـلاتر الشـخصية، أن النسـاء المحترفـات وفـي مناصـب ذات نفـوذ مـا زلـن يجـدن صعوبـة فـي الوفـاء بالمتطلبـات المهنيـة، مـع رغبتهـن فـي التمتـع أيضًـا بحيـاة منزليـة نشـطة. وتصـر سـلاتر مـرارًا وتكـرارًا علـى أن هـذا لا يرجـع إلـى فشـل مـن جانـب المـرأة، بـل يرجـع إلـى الأعـراف الاجتماعيـة المحيطـة بمفاهيـم النجـاح، وعـدم مرونـة ثقافـة مـكان العمـل فـي الولايـات المتحـدة، والتـي (لا تـزال) تُقـدّر التقـدم المهنـي علـى حسـاب التنـازل عـن الأسـرة. وفـي بحثهـا عن إجابـة لسـؤال، كيـف يمكـن للمـرأة «الجمـع بيـن النجـاح المهنـي والرضـا مـع التـزام حقيقـي تجـاه الأسـرة»؟ رأت أن الإجابـة تكمـن فـي السـماح للنسـاء أنفسـهن بإنشـاء تـوازن جيـد بيـن العمـل والأسـرة، مـن خـلال تشـكيل المعاييـر الاجتماعيـة ومعاييـر مـكان العمـل.

هـذه الكتابـات؛ وغيرهـا، أطلقـت موجـة نسـوية جديـدة وضعـت التـوازن كهـدف نسـوي تقدمـي.

كمـا أن؛ بـروز مصطلح التـوازن والدور الـذي لعبـه فـي خلـق منـاخ يعـزز مكانـة المـرأة المحترفـة القـادرة علـى الموازنـة بيـن مسـيرة مهنيـة ناجحـة وحيـاة عائليـة هانئـة؛ هـو الـذي دفـع الفيلسـوفة الأميركيـة كاثريـن روتنبـرج إلـى مناقشـة هـذه اللغـة النسـوية الجديـدة، فمـن وجهـة نظرهـا أن الحديـث حـول العمـل والأسـرة لـم يكـن جديـداً فـي قضايـا النسـوية، لكـن الجديـد هـو الدعـوة إلى تـوازن جيد كهدف للنسـوية الليبراليـة السـائدة، وإعـادة تصويـر تقدم المـرأة وتحريرهـا علـى أنـه القـدرة علـى تحقيـق السـعادة بيـن الجوانـب العامـة والخاصـة للـذات.(٣)

صكـت كاثريـن مصطلـح النسـوية (النيوليبراليـة)؛ والنيوليبراليـة، وفقـا للمفكـر الماركسـي ديفيـد هارفـي هـي: «نظريـة للممارسـات السياسـية الاقتصاديـة التـي تفتـرض أن أفضـل وسـيلة لتحسـين الوضـع الإنسـاني إنمـا تكـون بتحريـر القدرات والمهـارات الرياديـة الفرديـة ضمـن إطـار مؤسسـاتي يمتـاز بقبضـة محكمـة لحقـوق الملكيـة الخاصـة وأسـواق حـرة وتجـارة حـرة. وبحسـب هارفـي فـإن «النيوليبراليـة تكـرس لتعزيـز مراكمـة الثـورة والنخـب الاقتصاديـة مـن خـلال خطـاب التحـرر»(٤)

افترضـت روتنبـرج أن فكـرة التـوازن السـعيد بيـن العمـل والأسـرة يمكـن قراءتهـا كمحاولـة لدعـم افتراضـات مفهـوم الليبراليـة، وتـم التعبيـر عنهـا فـي وقـت تنـدد فيـه الديمقراطيـات الليبراليـة الغربيـة بصـوت عـالٍ بافتقـار المـرأة للحريـة فـي العالـم

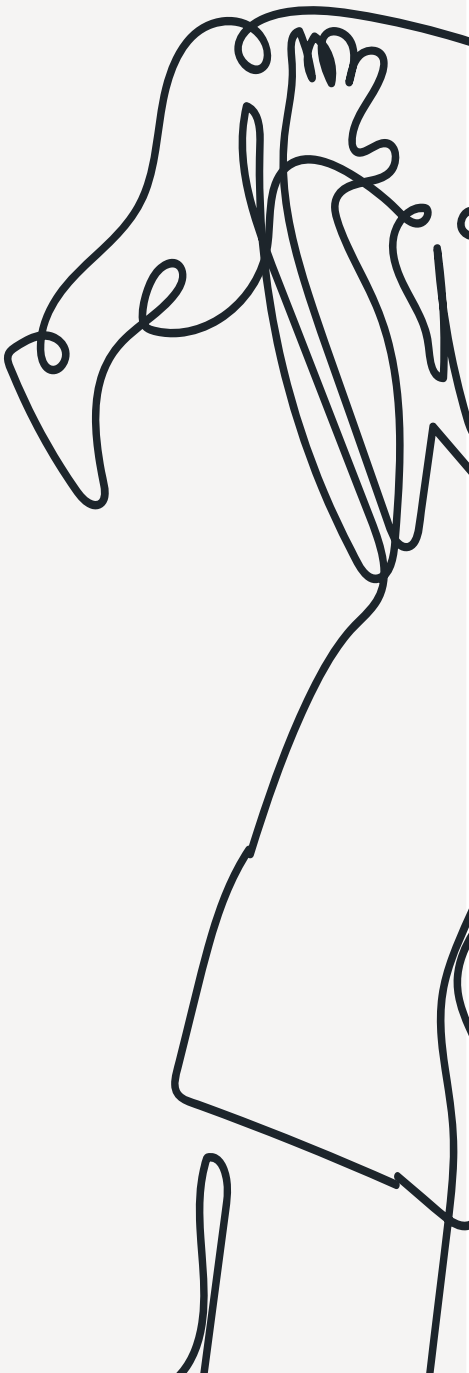

الإسلامي، بينما تؤيد المساواة بين الجنسين في مجتمعاتها، لذلك كان من المنطقي تحويل الحوار بعيدًا عن التقسيم الجنساني للعمل الذي تتشكل عليه الليبرالية الأمريكية نفسها. وذهبت إلى القول أن التحول إلى «التوازن» و «السعادة» يؤكد أننا وصلنا إلى حدود تأويل الليبرالية للانعتاق وأن هذا الحد قد تم التعبير عنه أو يتم تنفيذه، من خلال أزمة النساء المتميزات اللواتي من المفترض أن يستفدن أكثر من الحرية والمساواة بين الجنسين في الغرب.

وترى روتنبرج؛ أن النسوية النيوليبرالية تعترف بوضوح شديد بعدم المساواة بين الجنسين، إلا إنها تتنصل، في الوقت نفسه، من الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تشكل حياتنا، وتساعد بذلك في إنتاج موضوع نسوي جديد.(٥) فهي نسوية تشجع المرأة على تحقيق ذاتها بناء على قيم مثل: الريادة والاعتماد على الذات، والحق في العيش بسعادة. وارتبطت هذه الموجة بإنتاج أدبي وفكري غزير ساهم في تغيير مصطلحات النسوية، حيث تراجعت مصطلحات مثل: المساواة في الحقوق، والتحرير، والعدالة الاجتماعية، لمصلحة مصطلحات نسوية جديدة تضمنت أفكاراً مثل السعادة، والمسؤولية، والاتكاء(٦).

هذه الأفكار تتناقض مع ما روجت له نسوية الموجة الثانية؛ من الإصرار على جعل الخاص أو الشخصي سياسي، وبالتالي أعادت تشكيل الخاص كجزء من ثقافة المجال العام، لكن اللغة النسوية الجديدة تدعو إلى إعادة تشكيل العام في ضوء مطالب واحتياجات الخاص، بحيث يتم تشكيل المجال العام حتى يتمكن المجتمع من البدء في الاعتراف بقيمة تنشئة الأطفال والحياة الأسرية. وتعتمد النيوليبرالية على أعمال الإنجاب والرعاية من أجل إعادة إنتاج ما يسمى برأس المال البشري والحفاظ عليه.

ووفقا لروتنبرج: فإن النسوية النيوليبرالية تنتج وتحافظ على سجل مُعجمي مميز وعاطفي لأعمال الإنجاب والرعاية داخل الليبرالية الجديدة، وتجعلها صامدة حتى في وجه انهيار العقلانية النيوليبرالية وتلاشي الحدود الفاصلة لمكونات الفكر الليبرالي؛ مثل الانقسام بين القطاعين العام والخاص، ويتم التنصل من الجندر والمفاهيم التقليدية لتقسيم العمل على أساس الجنس التي تتآكل من خلال تحويل كل شيء إلى رأس مال، وتسلل عقلانية السوق إلى جميع مجالات الحياة.

كما تزعم روتنبرج -مبدئيًا-أن الحركة النسوية النيوليبرالية، بمفهومها التأسيسي للتوازن السعيد بين العمل والأسرة، قد ساعدت في جعل النسوية مستساغة وشرعية؛ الأمر الذي سهّل بدوره في انتشار النسوية على نطاق واسع، واحتضانها وتعميمها داخل المشهد الثقافي الأنجلو-أمريكي. السائد(٧)

لكن السؤال الذي يطرح نفسه؛ هو: هل هذا الحق متاح لجميع النساء، من مختلف الطبقات والأعراق؟ وهل تتعامل النيوليبرالية على حد سواء مع جميع النساء؟ أم وفقا لأهميتهن كرأس مال بشري؟

ففي قارة أفريقيا، هناك توجهات للحركات النسوية أصبحت نموذجا ونسخاً مكررة عن الحركات النسوية الغربية، دون مراعاة لأي خصوصية واختلاف للمرأة الأفريقية، فعندما اجتمعت النسويات الأفريقيات في أكرا عام ٢٠٠٦ في منتدى لبحث سبل تعزيز ونمو الحركة الأنثوية في القارة، لم يفعلن سوى الخروج بميثاق يعلن الالتزام التام «بتفكيك النظام الأبوي» بكل مظاهره في أفريقيا، ودعت الوثيقة إلى الحقوق الإنجابية والإجهاض والهوية الجنسية. ما عكس فشلاً في إدراك مهمة المرأة الأفريقية، بل حتى أن البيان لم يشر إليهن بكلمات مثل: (أم، زوجة، أسرة)(٨)، بل وشدد على ضرورة التعامل النقدي مع خطابات: الدين، والثقافة، والتقاليد، والعائلة، مع التركيز على محورية حقوق المرأة(٩)

وهذا ما تؤكده روتينبيرغ، من أن السجلات المختلفة -السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعاطفية- تنهار تحت هيمنة الليبرالية الجديدة، من حيث أن جميع أشكال التقييم تظهر من خلال مقاييس السوق. وهكذا،

تعمل النسوية النيوليبرالية كنوع من التحول الكلي للنساء المتعلمات والمتحركات إلى رأس مال بشري عام. من خلال الحفاظ على التكاثر كجزء من الطبقة الوسطى، أو ما يسمى بالمسار المعياري للمرأة الطموحة، وإقامة التوازن كإطار معياري ومثالي نهائي.

إن النسوية النيوليبرالية تتبنى خطابا إقصائيا لا يهتم للفقراء أو الطبقات ا لمهمشة، وهو ما يعيد الفكر النسوي إلى ما قبل قيام الموجة الأولى للحركة النسوية التي كانت في الأساس ضد البيض والطبقات الميسورة.

وفي ذات السياق؛ ذهبت الفيلسوفة نانسي فرازار إلى الاعتقاد بأن النسوية أصبحت خادمة للنيوليبرالية، فبعد أن كانت النسوية تعطي أولوية للتضامن الاجتماعي والاهتمام والارتباط المتبادل، أصبحت الآن تشجع على التقدم الفردي وأصبحت تعبر في صيغ فردانية. (١٠)

ظهرت الفردانية في التعامل مع قضايا المرأة في الأولمبياد، في قضية اختيار اللباس الرياضي، فبينما فاجأت لاعبات المنتخب الألماني للجمباز متابعي اللعبة وإدارة الأولمبياد بتغيير الزي المخصص للعبة بارتداء بدلات تغطي كامل الجسد على عكس الزي السابق، مطالبات بالتغيير بهدف محاربة أي طابع جنسي يميز رياضة الأجساد الرشيقة والأوزان الخفيفة، وإحلال ثقافة نسائية مختلفة تناشد بإتاحة حرية ارتداء الملابس التي تناسب كل سيدة وفقا لثقافتها ومعتقداتها ورغبتها؛ قوبل قرارهن بدعم كبير من الأوساط النسوية، واعتبر تصرفهن تحدياً لأنصار النسوية ألا يسمحوا باختطاف مُثُلهم من أجل تسليع المرأة واستغلالها. ما يتطلب شجبًا شديدًا لجميع أشكال التمييز. كما يتطلب منهم الاعتراف بالرضا عن الذات في تمكين المرأة.

في ذات السياق، ولكن على النقيض تماما، وجدت البريطانية أوليفيا برين، الفائزة ببطولة العالم في الوثب العالي والجري في الألعاب البارا أولمبية (أولمبياد ذوي الاحتياجات الخاصة) ذات الدعم والتضامن من الأوساط النسوية عند إعلانها للبرنامج الإذاعي «ساعة للمرأة» الذي تبثه البي بي سي، عن تعليق مسؤول بألعاب القوى على زيها بعد مشاركتها في مسابقة للوثب العالي في «بيدفورد»، حين قال لها: إن السروال الذي ترتديه «قصير جداً وفاضح». وقالت برين: «لقد جعلني تعليقه أشعر بالغضب حقا وهو أمر غير لائق بتاتا» واعتبرت أن اللباس أمر خاص لا يجب أن يتدخل في اختياراتها، وأن جسدها ملكا لها، لذا فهي تملك حرية التصرف فيه.

مشهد آخر من أولمبياد طوكيو يعزز هيمنة النيوليبرالية على النسوية، هو موقف الرياضيين المتحولين جنسيا، فمشاركة الرباعة النيوزيلندية لوريل هوبارد، ضمن فريق بلادها في أولمبياد طوكيو ٢٠٢٠، كأول رياضية متحولة جنسيا تنافس في هذا الحدث بعد تعديل شروط التأهل.

وهو ما يؤكد أن مستويات هرمون تستوستيرون (هرمون الذكورة) تقل عن ١٠ نانومول لكل لتر لمدة ١٢ شهرا على الأقل قبل أول مسابقة. تواجد الرباعة المتحولة جنسيا؛ أثار الجدل حول عدة قضايا أبرزها الأخلاقيات البيولوجية، وحقوق الإنسان، والعلوم، والعدالة، والهوية الرياضية. واعتبر المعارضون أن لها ميزة غير عادلة على حساب باقي المنافسات، بسبب التفوق الجسدي الكامن لعقود في جسدها عندما كانت ذكراً!

النسويات المدافعات عن حقوق المرأة في الرياضة النسوية وجدن أنهن في موقف لا يحسدن عليه؛ فبين الانتصار لحقوق الهوية الجنسية، التي طالما دافعن عنها؛ وبين خشيتهن من أن تقوض مشاركة المتحولين جنسيا المكاسب التي حصلت عليها النساء في الرياضة، كما ظهرت مخاوف أيضا من أن إدراج السيدات المتحولات في الرياضات الخشنة، قد يعرض سلامة باقي المتنافسات للخطر، ما دفع الاتحاد الدولي للروغبي إلى منعهن من المشاركة في المنافسات الدولية العام الماضي -وهو ما يضمر ضمنيا عدم الاعتراف بأن المتحولين ليسوا نساء-

وقالت نجمة كرة المضرب السابقة المثلية؛ مارتينا نافراتيلوفا، الأمريكية «يسعدني مخاطبة امرأة متحولة جنسيا بأي شكل تفضله، لكني لن أكون سعيدة للمنافسة في وجهها. لن يكون ذلك عادلا». كما أعلنت كايتلين جينر التي أحرزت ذهبية العشارية لدى الرجال في أولمبياد ١٩٧٦ قبل تحولها عام ٢٠١٥ «الأمر ليس عادلا ببساطة».

هذه المواقف تؤكد تغير اللغة

النسوية، وربما اتجاهها مستقبلا، لمراجعة الكثير من الأفكار التي روجت لها سابقا. وهذا ما ذهبت إليه فرايزار في نقدها للموجة النسوية الثانية وكيفية تصحيحها، فهي ترى أن النسوية ساهمت في التكريس للنيوليبرالية من خلال الرؤية الضيقة لنقد الأشكال غير الاقتصادية للمساواة (كالعنف الأسري، والاعتداءات الجنسية، وسعي النسوية لتحدي التسلسل الهرمي للتمييز الجنسي في البنى الثقافية؛ كل ذلك أدي إلى التركيز على موضوع واحد هو الهوية الجنسية، وهو ما ساعد على صعود النيوليبرالية التي تهدف إلى محو كل ذِكر للمساواة الاجتماعية. وترى أن النسوية جعلت من نقد التمييز الجنسي هو الغاية المطلقة في الوقت الذي اقتضت الظروف إيلاء اهتمام شديد لنقد الاقتصاد السياسي. (١١)

هذا النوع من النسوية النيوليبرالية التي تتمتع بخطاب مفرط في التفرد، يفسر النساء ليس فقط بحسبهن ذوات ريادية، بل كمؤسسات فردية، يسهل تعميم هذا الخطاب خاصة أنه تم تحييد وتحديد معظم القوة المعارضة له.

مجمل القول ؛إنه من الملاحظ هناك تغير في الطرح حيال قضايا النساء بحسب الأوضاع السياسية والتاريخية والمنظومات الفكرية، وأن كل منظومة فكرية راحت تنتصر لمبادئها من داخل الفكر النسوي، وتكرس لتفسيرات الهيمنة وعدم المساواة وفقا لما يخدم مصالحها - وهذا حقها-، فإذا نظرنا إلى واقع دراسة القضايا النسوية من منظور إسلامي، مثلاً، أو ما يطلق عليه بـ»النسوية الإسلامية «بأنواعها المختلفة، حيث أن منهن من انتهجن الفصل بين العقيدة القرآنية والمقاصد الشرعية، أو من يعتمدن على دراسة النصوص الإسلامية ويفصلن بينها وبين ما أسمينه التفسيرات الذكورية، أو المجموعة الأخرى التي تتطرق للقواعد المنهجية والافتراضات الفكرية لعملية التأويل نفسها، وتعمل على التنظير لآليات تفسيرية أرحب، على اختلاف جميع مقارباتهن الفكرية والأداتية؛ ليبقي السؤال الواحد الذي يجمعهم جميعا وبحاجة للإجابة: ما هو الهدف المنشود؟

١- طوني بينيت -لورانس غروسبيرغ -ميغان موريس: مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة ٢٠١٠.

٢- سارة كامبل، النسوية وما بعد النسوية: ترجمة أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة.

3- Catherine Rottenberg :Happiness and the Liberal imagination :how Super woman Became Balanced .Feminist studies ,vol 40 .no .2014 .1.Pp144-168

٤ - هارلي، ديفيد: الوجيز في تاريخ النيوليبرالية: ترجمة وليد شحادة، الهيئة العامة السورية للكتاب - وزارة الثقافة ٢٠١٣.

5- Catherine Rottenberg :ibid.

٦- نانسي فرازر، كيف أصبحت النسوية خادم للرأسمالية وكيف يمكن أن تعود إلى مسارها الصحيح: http;//m.masaalaaralaabia.net

7- Catherine Rottenberg :ibid.

٨ - أوبيانوجو إيكيوتشيا، أفريقا المستهدفة، ترجمة أسماء عبد الرازق ٢٠٢٠ قراءات أفريقية.

٩ - ميثاق المبادئ النسوية للنسويات الأفارقة: الطبعة الأولى: صندوق تنمية المرأة الأفريقية ٢٠٠٧ (الطبعة الثانية: صندوق تنمية المرأة الأفريقية) ٢٠١٧.

10- Catherine Rottenberg :ibid.

١١- نانسي فرازر، السابق

اجتياحات التحول
وعصر اللاطفولة

أ. سامي الحربي
مهتم بالفكر وعلم الاجتماع
تويتر: @tragbki

«إن روحية العصر الحديث لا تتعارض فقط مع الروحية الطفولية -روحية البراءة- بل مع الأطفال أنفسهم لأن التحرر الجنسي قد زرع دمارا هائلا والذي يعكس عدم وجود قناعة بضرورة توريث شيء صالح إلى الجيل الجديد لأن حضارتنا تسير في طريق الموت»

- يوهان ارنولد -

يشكل عصرنا نهاية للجغرافية على مستوى التباعد المكاني، والذي يرتبط بزوال المسافة بين أقطار الأرض من خلال سرعة النقل وتطور وسائله، ونهايةً للجدران الرمزية على المستوى الثقافي، والتي ترتبط بزوال المسافة بين الثقافات من خلال سرعة تنقل المفاهيم وتداخلها وتفجر مصادر التلقي واكتساح مساحات الأسئلة (من نحن؟ ما هو دافعنا؟ إلى أين نمضي؟) وإجاباتها التي تحدد معاني الولادة والحياة والموت.

ومن سمات نهاية الجغرافية المكانية والمفاهيمية مسألة المصير المبهم الذي يحاصر الإنسان على كافة المستويات، سواء كان ذلك على مستوى العالم الخارجي وأخطاره الحديثة المرتبطة بالحروب المتطورة والانتشار السريع للأوبئة ومشاكل المناخ، أو على مستوى العوالم الداخلية والتي تشمل تدمير المعايير الأخلاقية الثابتة وتحديدات الصواب والخطأ التي تحكم حركة الإنسان وأفكاره وأقواله وأفعاله.

والمصير المبهم بمستوياته الخارجية والداخلية يجتاح الجسد وحدوده وهويته عبر مفاهيم الجندر التي تحاصر المعايير الثابتة للبشرية من خلال إعادة تعريف ما هو إنساني؟ وما هو قابل للتحويل؟ ومن هو الرجل؟ ومن هي المرأة؟ وما هي الطفولة؟ والتي تحققها القدرات الطبية على الجسد من خلال الجراحة، ومن خلال تقديم الحجج الأخلاقية لذلك في إطار (التطبيب- medicalization) وهي العملية التي يستطيع الطب من خلالها تصنيف الصحيح من السقيم من خلال تصوره عن الحقيقة(١).

إن التصورات والمؤسسات الطبية ليست محايدة على مستوى المرض والتشخيص، بل تُعبّر عن نظام فكري خاص يتحدد عبر المناخ الثقافي السائد الذي يسيطر على العالم الحديث، والذي يعطي أهمية أكبر للجسد كأداة لتشكيل الذات، ويعود ذلك إلى تراجع تأثير المرجعيات الدينية والسرديات السياسية الكبرى، وشعور المرء بأنه عاجز عن إحداث تأثير في العالم، فتتم محاولة إعادة بناء المعنى من خلال الجسد، وإحداث التغيير والتأثير من خلال التأثير على حجم جسده وشكله ومظهره بحسب تحليلات كرس شلنج، كما يشير دايفيد لبرتون إلى أن تغيير الجسد من أجل تغيير الحياة هو جزء من طموحات العالم الحديث(٢).

ومن الخصائص البشرية القدرة على صياغة البدائل حتى على مستوى المرجعيات الدينية، وإن كانت تلك البدائل ليست متماسكة ولا تدوم، ولكنها تأخذ مكانة المقدس من خلال الهيمنة والتأثير والتوجيه والمعاقبة وخطورة التشكيك في حقائقها، والتي ترتبط بحسب رايان أندرسون بالحجة الغيبية الجديدة والتي تقول: «إن الناس هم ما يدّعون أنهم عليه، بغض النظر عن الأدلة الجسدية التي تخالف أقوالهم»(٣).

وترتكز الصياغة المقدسة الحديثة على أربعة أركان أساسية:

-الدور الجندري.

-الهوية الجندرية.

-القلق الجندري.

-إعادة تعيين الجندر.

وعند فحص الصياغات الثلاث الأولى من خلال التحليل والمعنى، تأتي أطروحة النفساني روبرت ستولر الذي يعتبر من أوائل من قدم تحليلات حول مفاهيم الجندر. يشير ستولر إلى أن الدور الجندري هو ما يتظاهر به المرء أمام الآخرين على المستوى الاجتماعي في مسألة الاختلاف الجنسي بين الرجل والمرأة، وأن الهوية الجندرية هي التصور الداخلي النفسي في مسألة الاختلاف الجنسي، ويشير إلى أن القلق الجندري هو القلق الدائم لدى المرء من الجنس المحدد له أو الإحساس بعدم الملاءمة للدور الاجتماعي. ثم تأتي المرحلة الأخيرة وهي إعادة تعيين الجندر -أي التحول

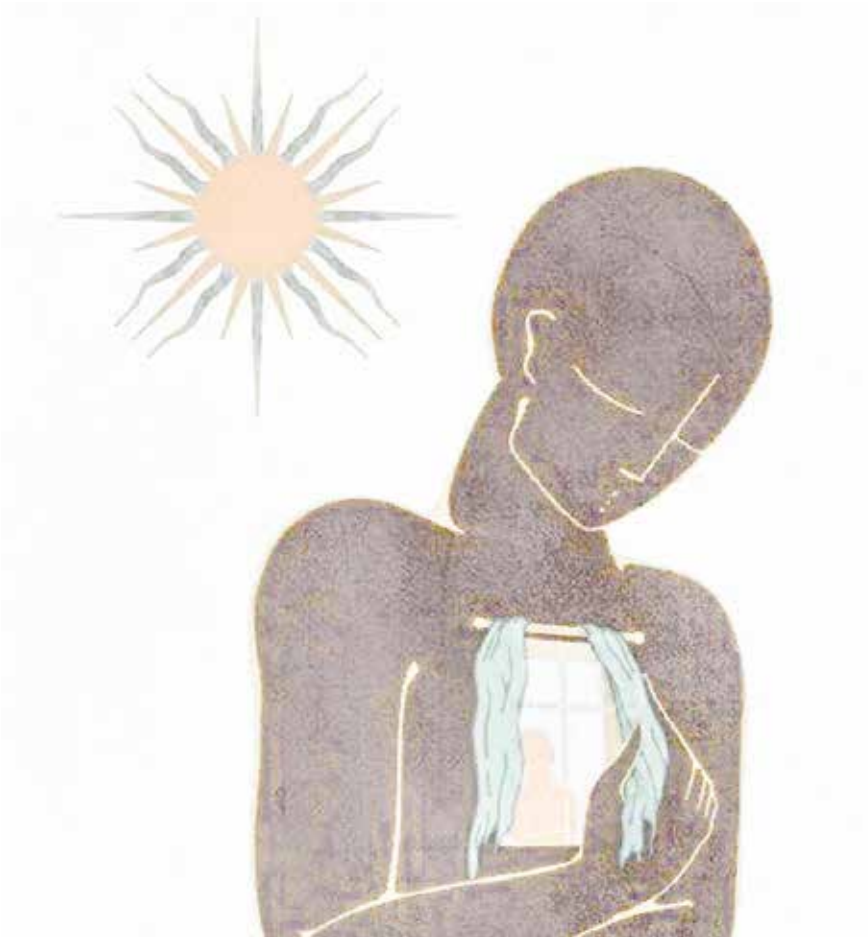

الجنسي- من خلال التدخل الجراحي والعقاقير واللباس، والتي تعبر بحسب ديفيد غوفلر عن عدم استقرار معايير الجسد في المجتمعات الحديثة من خلال انفتاحه على التجريب(٤).

ويمتد الانفتاح على التجريب الطبي والمفاهيم الجندرية والتحول الجنسي إلى الطفل والطفولة، من خلال نظام فكري يعتمد المناهج المدرسية والموسيقى الشعبية والأفلام والبرامج التلفزيونية وكتب الأطفال في تقديم صور وتمثيلات إيجابية ومقبولة بين الأطفال عن المتحولين جنسيا، ويشجع على التحول وتقوية مساحات القلق الجندري بين الأطفال، وتطبيع مكانة الأسرة المتحولة، وحضور المتحولين للفصول الدراسية لقراءة القصص، وكل هذا التركيز على الأطفال يرجع سببه إلى بحث حركة المتحولين عن عصر بلا طفولة، بحيث لا يوجد فيه أطفال يعتبر وجودهم عائقا من ناحية الهوية الجسدية المستقيمة والطبيعية بحسب جوانا ويليامز(٥).

ومساهمة التجريب الطبي في صياغة عصر بلا طفولة ترتبط بإعادة تعيين الجندر لدى الأطفال من خلال تحديد (التطبيب) لأمراض الطفولة على مستوى الاختلاف الجنسي، وتعديل ذلك عبر (قمع البلوغ) من خلال الوسائل الطبية التي تعمل على وقف هرمونات الغدد التناسلية في الأطفال.

يعتبر عالم النفس كينيث زوكر أحد أهم الناقدين لسيطرة الأفكار والأدلة التي تقدمها حركة المتحولين على المؤسسات الطبية، فيما يخص معايير التطبيب حول أمراض الطفولة، ومسألة القمع الطبي للبلوغ لدى الأطفال، والتي يرى زوكر أنها متسرعة وإجرامية، لأن الحالات المرضية للأطفال الذين كانوا يريدون التحول إلى جنس مغاير لم تكن حالات تعاني إلا بسبب البيئة المحيطة، واختلاف الطبع، والاضطرابات النفسية، والتفضيل الخاطئ، والعلاقة غير الآمنة مع الوالدين، ولم تكن تحتاج إلا للإرشاد النفسي، وتغيير البيئة، وتغير التعامل من الوالدين، دون الحاجة لحلول حركة المتحولين، والتي تتمثل في ارتداء لباس جنس مختلف، والتدخل الجراحي والعقاقير.

وأول حالات زوكر كانت حالة الطفل فرانك الذي يبلغ الخامسة من العمر، ويريد التحول إلى فتاة بسبب مشاعره الحساسة وميله للعب المختلف في درجة خشونته، وشعوره أن الأولاد سيئون(٦).

يشرح زوكر حالة فرانك عبر مسألة النشاط البدني، والتي تعتبر من الخصائص البشرية، ومعادلة اتفاق الطاقة البدنية والميل إلى اللعب القاسي، وبحسب زوكر يكون الأولاد أنشط في مستويات معينة، ولكن في الحالات المرضية للأطفال الذين لديهم اضطرابات الهويات الجنسية، يلاحظ زوكر أن مستويات النشاط (مقلوبة،) بحيث كانت لدى الأولاد أقل مقابل ارتفاعها لدى الفتيات.(٧)

يخلص زوكر في حالة الطفل فرانك إلى أن الصبي ذو النشاط المنخفض يرى أن السلوك الأنثوي النموذجي متوافق مع طبعه، وبذلك يميل للانضمام عند اللعب والأنشطة الخاصة للفتيات، والحل العلاجي في حالته كان في تعريف فرانك على أطفال ذكور يقتربون منه في مسألة الطبع ومستوى النشاط.(٨)

وفي الحالة الثانية يشير زوكر

إلى علاقة الاضطرابات النفسية مع اضطراب الهوية الجنسية، كاضطراب طيف التوحد، واضطراب القلق المعمم-قلق مفرط- التي تنطوي على الاستعداد للاهتمامات الوسواسية والهوس والقلق حولها، ويوضح ذلك في حالة ديفيد-يبلغ من العمر الخامسة- الذي أصبح مهووسا بأن يصبح فتاة، وقام والداه بتهيئة بيئة أنثوية له من ألعاب وملابس الفتيات، وتابع زوكر حالة ديفيد حتى بلغ سن ١٢، فأصبح مهووسا بنجوم الموسيقى، ثم اختفت أعراض اضطراب الهوية الجنسية، فلم يكن التسرع التحولي حلا بحسب زوكر.(٩)

والحالة الثالثة هي حالة الطفل توم الذي يبلغ من العمر أربع سنوات، وكانت أمنيته أن يصبح فتاة، ويشير زوكر إلى أن توم يعاني بسبب شخصية والدته الأنانية، وغياب دائم للأب، ومولد شقيقة له، يلاحظ زوكر أن الطفل أصبح يشعر أن والدته تخلت عنه من خلال الاهتمام المفرط بأخته، وبذلك أصبح يريد أن يكون فتاة، ظنّاً منه أنه عندما يصبح فتاة سيحظى بالقدر نفسه من الاهتمام الذي حظيت به أخته.

ويخلص زوكر في حالة توم من خلال أبحاث فريقه إلى أن هناك ارتباط بين الأولاد الذين يعانون من اضطرابات الهوية الجنسية، وبين العلاقة غير الآمنة مع الأم.(١٠)

ويمتد الانفتاح على التجريب الطبي والمفاهيم الجندرية والتحول الجنسي إلى الطفل والطفولة، من خلال نظام فكري يعتمد المناهج المدرسية والموسيقى الشعبية والأفلام والبرامج التلفزيونية وكتب الأطفال في تقديم صور وتمثيلات إيجابية ومقبولة بين الأطفال عن المتحولين جنسيا

المراجع:

١-المفاهيم الأساسية لعلم الاجتماع-جون سكوت-ص١٠٩-١١٠.

٢- كتاب الجسد والنظرية الاجتماعية-كرس شلنج-ص٢٢-٢٧.
أنثروبولوجيا الجسد -دافيد لوبروتون-ص١٥١.

3- The Philosophical Contradictions of the Transgender Worldview - by Ryan T. Anderson

٤-ديفيد غوفلر-الجنوسة-ص٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣٥-٣٦.

5- The corrosive impact of transgender ideology - Joanna Williams, p. 31

6- When harry became sally – Ryan T. Anderson, p. 147

7- When harry became sally, p. 146

8- When harry became sally, p. 146-147

9- When harry became sally, p. 148-149

10-when harry became sally, p. 149-150

حوار مع الدكتورة
سيلين إبراهيم

الدكتورة سيلين إبراهيم هي عضو في هيئة قسم الدراسات الدينية والفلسفية في مدرسة غروتون Groton. وهي مؤلفة كتاب «المرأة والجندر في القرآن Women and Gender in the Qur'an» (مطبعة جامعة أكسفورد، ٢٠٢٠)، ومحررة كتاب «أمة واحدة، غير قابلة للتجزئة: السعي للحرية والعدالة من المنبر إلى الشارع One Nation, Indivisible: Seeking Liberty and Justice from the Pulpit to the Streets» (Wipf & Stock, 2019).

وسيصدر كتابها الحالي من مطبعة جامعة كامبردج بعنوان «التوحيد في النظرية والتطبيق: منظور إسلامي لإمكانية وحدود المعرفة الإنسانية Monotheism in Theory and Praxis: An Islamic Perspective on the Potentials and Limits of Human Knowing».

وقد حصلت الدكتورة على دكتوراة من جامعة براندیز Brandeis، وماجستير في اللاهوت من جامعة هارفارد، وبكالوريوس في الآداب من جامعة برينستزون.*

*https://yaqeeninstitute.org/team/celene-ibrahim

الآراء الواردة في هذا اللقاء لا تعبر بالضرورة عن آراء الناشر.

ا) مرحبا بك د. سيلين في مجلة أوج، تعرفنا على جانب من سيرتك الذاتية وبعض أعمالك المنشورة المفيدة، ونود أن نتعرف أكثر على توجهك إلى دراسة اللغة العربية والحضارات الإسلامية.. متى بدأت الدراسة حول اللغة العربية والإسلام؟ وماذا كانت أهم دوافعك لهذا التخصص؟ وما أبرز ما لفت انتباهك حول الإسلام في بداية دراساتك؟

عندما كنتُ في سن المراهقة، التحقت بمدرسة داخلية، وكان هناك فتاة في غرفة النوم المقابلة لي من الضفة الغربية الفلسطينية. ومثّل لي موسيقاها وأصدقاؤها الناطقون بالعربية في مباني الطلبة تعرّفي الأول على اللغة العربية المنطوقة. في الكليّة بجامعة برينستون، درستُ بالخارج في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وهذا هو المكان الذي أخذتُ فيه حصتي الدراسية الأولى في اللغة العربية. لقد درستُ الإسبانية والبرتغالية سابقا، لكن العربية كانت أصعب بكثير. ولم أستطع نطق حرف «العين»، وكانت «الهمزة» تقترب وتبعد في الكلمات عشوائيًا، وكنت خائفة عندما توجّب عليّ أن أنطق الكلمات التي فيها حرف «الضاد». كان الفصل الدراسي يتكون من العديد من الطلاب الأمريكيين العرب الذين تعرضوا للغة في نشأتهم، وكان المدرس يتنقّل في الشرح بسرعة. درّس هذا المساق الدراسي العربية الفصحى الحديثة، وكان كل شيء مكتوبًا بدون علامات التشكيل. وفي شوارع القاهرة، أستطيع أن أقول إن أصحاب المتاجر كانوا مستمتعين بلغتي العربية الفحصى الرسمية عندما كان الجميع يتحدث العامية المصرية. لقد بدأت دراسة اللغة العربية بدافع الفضول حول الإسلام وثقافة الشرق الأوسط. وفي ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة في السنوات الأولى من حربي أفغانستان والعراق. غالبًا ما كانت المقاطع العربية التي نقرأها مستخرجة من مقالات صحفية عن المفجرين الانتحاريين. ولم أرتبط بالعربية وأصحابها أبدًا حتى بدأت في الاستماع إلى القرآن. هنا وقعت في حب هذه اللغة - حتى العين والضاد.

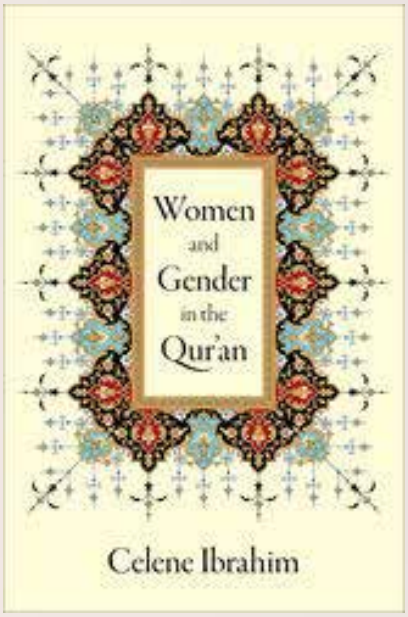

٢) يعد كتابكم «المرأة والجندر في القرآن» من الدراسات التحليلية المهمة سواء في إطار الدراسات النسائية أو الدراسات القرآنية، فما أهم الأفكار التي أردتم تأسيسها من خلال الكتاب؟

يقدّم هذا الكتاب مناقشة قوية للمفاهيم المتعلقة بالمرأة في القرآن. إذ أناقش قصص شخصيات نسائية في القرآن من منظور موضوعاتي وأولي اهتمامًا للتعبيرات التصويرية للنساء في سياق العلاقات الجنسية، والعلاقات الأسرية، والتواصل مع الله والملائكة، وفي أدوارهن الاجتماعية. وتُظهر تحليلاتي مدى أهمية النساء في التاريخ المقدس وكيف شكّلت قصصهن الدروس الأخلاقية واللاهوتية. ويشمل العمل جميع الشخصيات النسائية الكبرى والصغرى المذكورة في القرآن. كما أنني أناقش التعبيرات التصويرية القرآنية لدار الجنة الأبدية.

٣) هل تعتبرون كتابكم عن المرأة والجندر دراسة «نسوية» لتحليل النص القرآني وقياس مدى توافقه مع حقوق المرأة، أم تميلون أكثر لكونه دراسة استكشافية للخطاب القرآني للمرأة أو عنها وما يحتويه هذا الخطاب من تصورات أكثر شمولا؟

أسعى بهذا الكتاب إلى توضيح كيف يمكن لتفسير المرأة أن يعزز مجال الدراسات القرآنية من خلال إلقاء الضوء على آفاق جديدة لإمكانية التفسير. وأنا لا أحب استخدام مصطلح «النسوية» بسبب الضرر التاريخي الذي تسببت به أفكار النسوية الغربية البيضاء (يناقش كتاب رافيا زكريا Rafia Zakaria الجديد - مجادلًا ضد النسوية البيضاء - هذه الديناميكيات بالتفصيل). من الواضح أن النساء المفسّرات غائبات عن السجل المدوّن لمعظم التاريخ الفكري الإسلامي، والأعمال الحديثة التي قدمتها المفسّرات نادرة. بالتأكيد ساهمت النساء في الحياة الفكرية الإسلامية من نواح متعددة (مثل راويات الأحاديث)، لكننا نفتقر إلى تأريخ نشط للنساء المفسّرات. وأنا أسعى إلى تصحيح هذا الافتقار بقدر ما يمكنني، إن شاء الله، بجانب باحثات أخريات مثل هادية مبارك Hadia Mubarak وجيروشا رودس Jerusha Rhodes تقمن بهذا العمل النقدي أيضًا داخل الأوساط الأكاديمية الغربية. إنه من الضروري أن يتعلم المسلمون ويدعمون حقوق المرأة التي أسسها الإسلام. وتقوم المنظمات الحركية الشعبية مثل مساواة (musawah.org) وكرامة (karamah.org) بعمل مهم في هذا الصدد. كتابي التالي سيصدر من مطبعة جامعة كامبريدج وهو دراسة قصيرة عن التوحيد، لكني آمل أن أكتب عن موضوع المرأة في الإسلام في كتاب مستقبلي عن النسوية الإسلامية يبحث القضايا الصعبة المتعلقة بالعدالة وتمثيل المرأة.

٤) كانت مقولة سيمون دو بوفوار «لا نولد نساء وإنما نصير كذلك» بمثابة نواة انبثقت منها نظرية الجندر -ضمن عوامل أخرى- في الغرب، ثم أخذت في التطور بعد ذلك على مدار عقود حتى الآن. بحسب رؤيتكم.. ما الذي تتلخص فيه نظرية الجندر؟

قرأتُ لأول مرة أعمال سيمون دي بوفوار وأنا طالبة دراسات عليا في جامعة هارفارد، وكنت متناغمة بعمق مع ما كانت تحاول القيام به في المجتمع الفرنسي في عصرها وفي الفلسفة

على نطاق أوسع. تأتي العديد من الحدود والقيود المفروضة على المرأة من الأفكار الثقافية المتعلقة بتفوق الرجل. وتعمل هذه الأفكار على تعزيز التسلسل الهرمي بين الجنسين الذي يركز الثروة والسلطة الاجتماعية في أيدي الرجال (الأفكار التي تجعل المرأة ضعيفة فكريًا أو تقترح أن النساء لا يمكن أن يشغلن مناصب عامة بنجاح، والأشكال الأخرى لهذه الموضوعات). إن هذه الأفكار لها تاريخ طويل في الفلسفة الغربية، وقد دخلت أيضًا للأسف في الأعمال الإسلامية. في بعض الأحيان يجب الطعن في التعريفات الثقافية المقيّدة التي تُفرض على النساء، بسبب تشريحهن الإنجابي، من أجل منح النساء فرصة لتحقيق إمكاناتهن الكاملة كإنسان. هذا، حسب فهمي، هو أحد الأهداف المركزية للنظرية النسوية وتطبيقها العملي.

٥) هل يمكن أن تتلاقى نظرية الجندر مع النظرة القرآنية للرجل والمرأة على حد سواء؟ وما أبرز الفوارق بينهما في نظركم؟

في الكتاب أستخدم الأساليب الفيلولوجية لإلقاء الضوء على فن القصص القرآني. وأصوّر للقارئ على نطاق واسع شخصيات نسائية، الصغيرة والكبيرة، المتدينة وغير المتدينة، المتزوجة وغير المتزوجة، وهكذا. وأُظهر كيف تُصوَّر النساء في سياق التجسيد الجنسي، وفي أدوارهن الأسرية، وفي مختلف الأدوار الاجتماعية والسياسية، وفي علاقتهن بالله. وأفحص حديث المرأة في القرآن، وعلى حد علمي أنا أول أكاديمية غربية تقوم بذلك بطريقة شاملة. وأناقش التفاعل بين الأنبياء في القرآن وأمهاتهم وزوجاتهم وبناتهم وأنصارهم وخصومهم من النساء. وفي كل هذا البحث توصلت إلى أن الفروق الوحيدة بين الرجال والنساء هي أدوارهم المختلفة في الإنجاب وبعض الاختلافات في أدوارهم الأسرية. والأهم من ذلك، أنني لا أجد في القرآن فروقًا في استحقاق الرجل والمرأة أو في الإمكانات الروحية. خلال الكتاب أعرض كيف أن الشخصيات النسائية في القرآن ليست على نمط واحد بالتأكيد، فهناك التقية والفاسقة وثاقبة النظر والجاهلة والحازمة والمترددة والمسنة والشابة والمشهورة وغير المشهورة. فلا يوجد نموذج أصلي واحد. وينطبق هذا أيضًا على الرجال في القرآن. يحتفي القرآن بمواهب وكفاءات نسائية في الدين والسياسة والعلاقات الأسرية. ومع ذلك، كما يوضح القرآن، تستخدم النساء أيضًا مكانتهن للترويج للفساد والخيانة (كما هو حال زوجة نوح وزوجة لوط وزوجة أبي لهب، وكذلك زوجة العزيز ورفاقها). بالمثل، نجد الكثير من الرجال في القرآن فاسدين أخلاقيًا بشكل ما، ونجد أيضًا منهم نماذج للفضيلة. وكثيرًا ما تقوم الشخصيات النسائية، على الرغم من عدم تسميتهن صراحة بكونهن نبيات أو مُرسلات، بتصديق كلمة الله ووعوده، حتى بطرق لا يقوم بها الرجال، فمثلًا، تتلقى مريم [عليها السلام] «كلمة» الله جسديًا. يُكلَّف الرجال بانتظام وبصراحة بالوعظ في مجتمعاتهم وفي بعض الأحيان تبليغ كتاب مقدس جديد، ولكن النساء أيضًا تُكلَّفن بحمل رسالة الله وحمايتها وإرسائها، وإن كان ذلك بطرق مختلفة قليلًا. وفي أمثلة أخرى يكون كلام أو أفعال الرجال والنساء متشابهًا أو متطابقًا. فمثلًا، تستخدم بعض النساء نفس المصطلحات التي يستخدمها الأنبياء عند التحدث إلى الله (كما في حالة ملكة سبأ ومريم). إن آدم في القرآن لا يتحدث إلا في انسجام مع زوجته.

٦) يشاهد المتتبع لتطورات نظرية الجندر أنها لم تقتصر على إلغاء الفوارق في الأدوار بين الرجل والمرأة، وإنما أخذت تناقش قضايا مثل الشعور بالهوية الشخصية والميول الجنسية في محاولة للتصالح مع كل الفئات. إلى أي مدى تنتشر مثل هذه الأفكار لدى الفرد العادي في أمريكا على سبيل المثال؟ وبعد هذا التطور الكبير، هل لنا أن نتساءل عن الخطوة القادمة في هذا المجال: ماذا بعد نظرية الجندر؟

في الآونة الأخيرة، تحتوي نظرية أحرار الجنس Queer theory على تعريفات غير مستقرة لـ «المرأة» و»الرجل»، وأصبحت

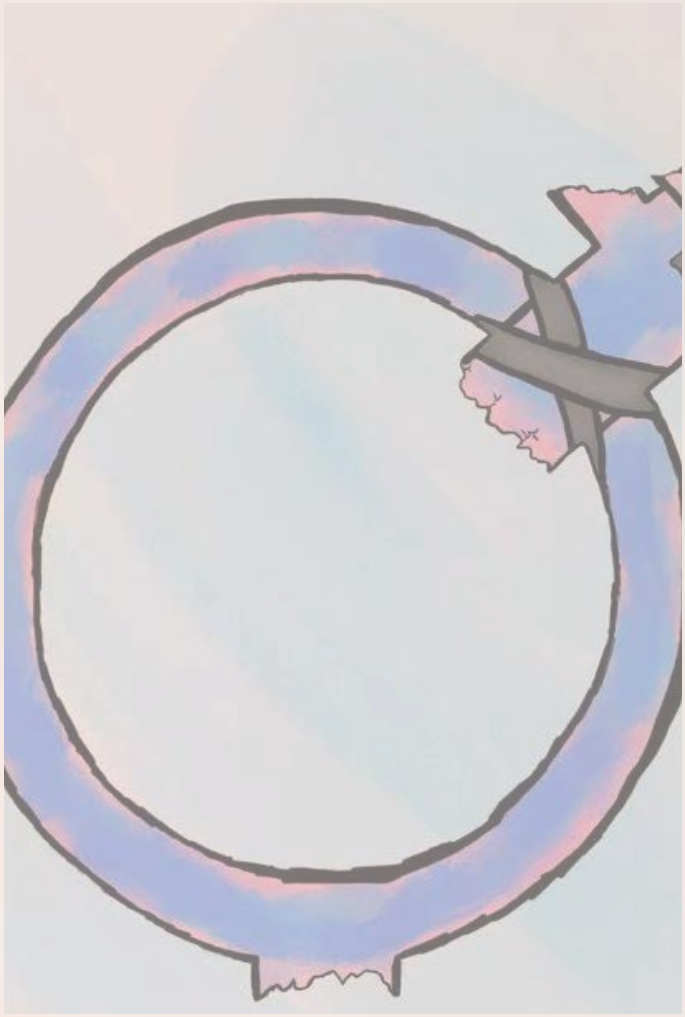

الأفكار الجديدة حول الجندر مائعة وغير ثنائية هي الاتجاه السائد في الثقافة الشبابية الأمريكية. ويجب أن يكون هناك نقاش أقوى في الدوائر الإسلامية حول كيفية التعامل مع أفكار حول الجندر تمثل نوعًا ما تحديًا للنماذج الإسلامية التقليدية. بالطبع قد ناقش الفقهاء المسلمون الأشخاص البين-جنسيين intersex وناقشوا فئات من النشاط الجنسي غير الثنائي، مثل المخصيين أو الأشخاص الذين ليس لديهم رغبة جنسية (ما تسميه النظرية الجندرية «اللاجنسيين asexual»). تشمل التقاليد التي في الكتب والمنبثقة من المجتمعات الإسلامية الأعمال مثلية الجنس، لكن هذه التقاليد الكتابية تتعارض مع الخطابات الفقهية الإسلامية التي تحرّم الأفعال المثلية، على سبيل المثال. إن هذا هو اختلاف في المنظور، ولا يوجد حل سهل يلوح في الأفق.

٧) في مقالتكم «المرأة في القرآن» -وهي مقالة ترجمتها مجلة أوج سابقا- ذكرتم فكرة ملهمة تتعلق بافتقاد المرأة المسلمة للقدوة العلمية النسائية باستثناء نماذج قليلة، لكنكم وجدتم في الشخصيات النسائية في القرآن معلمات جديرات بالاستفادة منهن، حتى في النماذج السلبية. والآن مع إتاحة فرص التعلم للنساء أكثر في كثير من البلدان، هل ترين أن هذه الصورة تغيرت؟ وهل يمكن الإشارة إلى نماذج علمية من النساء المسلمات تقدم جهودا معتبرة في الدراسات الإسلامية حاليا سواء في العالم العربي أو الغربي؟

إن التقدم التكنولوجي، حتى في السنوات الخمس الماضية أو نحو ذلك، يسمح إلى حد كبير للتواصل مع الباحثات الأخريات وإنشاء دوائر للتعلم والاجتماع عبر المناطق الجغرافية. وقد كان الوباء كارثيًا للعديد من المجتمعات، لكن العيش في عزلة نسبية لفترة طويلة أدى أيضًا إلى تعزيز التواصل عبر الإنترنت. وإحدى المنظمات التي تقوم بعمل استثنائي في الفضاء الإلكتروني للنساء المسلمات هي مؤسسة Rabata (تأسست عام ٢٠١٤)، وهي منظمة غير ربحية مقرها مينيسوتا مع انتشار عابر للقارات «مكرسة لبناء الروابط الروحية بين النساء، والتنشئة الروحية للنساء عن طريق النساء، وترسيخ صوت المرأة في البحث الأكاديمي»، حسب مهمتهن التنظيمية. من المحتمل أن تكون شبكة Rabata الممتدة هي أكبر معهد مقره الولايات المتحدة للتعليم الإسلامي التقليدي للنساء، وتضم العشرات من المعلمات من جميع أنحاء الولايات المتحددة والتخصصات في جوانب مختلفة من المعرفة المقدسة الإسلامية. وفي هذه المؤسسة، نسمع تلاوات النساء للقرآن على جدران المسجد الافتراضي المخصص للنساء فقط. والدكتورة تمارا جراي Tamara Gray، التي درست في دمشق لعقود قبل عودتها إلى الولايات المتحدة، هي المديرة التنفيذية و»كبير مسؤولي الروحانيات» في المؤسسة. وتقوم بتوجيه مئات الطالبات في الشبكة،

وهـي معلمـة مميـزة فـي منتديـات متعـددة لتعليـم الديـن تقليديًـا. وفـي النـدوات عبـر الإنترنـت، كانـت تتعامـل ببراعـة مـع أسـئلة ذات نطـاق واسـع، مـن معضـلات تربيـة الأطفـال إلـى الموازنـة بيـن العمـل والحيـاة وإلـى مسـائل اللاهـوت والعبـادات الإسـلامية. وتشـمل مظلـة هـذه المؤسسـة أيضًـا مطبعـة ديبيريـك Daybreak، وهـي تنشـر مطبوعـات فـي العنايـة الروحيـة للنسـاء المسـلمات وكتـب الأطفـال للمسـلمين وغيـر ذلـك الكثيـر.

تحافـظ مبـادرات مثـل Rabata علـى التـراث الفكـري الإسـلامي حيًـا متنقـلًا لأجيـال جديـدة مـن المسـلمين المقيميـن فـي الولايـات المتحـدة ويبحـرون بعقيدتهم فـي أمريـكا. ويقـدم برنامـج Rabata للمراهقيـن دروسًـا عـن «مرحلـة البلـوغ» تشـجع التفكيـر النقـدي ومهـارات التواصـل والثقـة وتقديـر الـذات. وبتركيـز هـذه الإعـدادات علـى اكتسـاب المعرفـة والتواصـل بيـن النسـاء، أصبحـت مواقـع مهمـة بشـكل خـاص للإرشـاد الروحـي وتقديـم الرعايـة وتهذيـب الشـخصية. وهـذا العمـل هـو مجـرد جهـد مـن بيـن عـدة جهـود ملهمـة قـد ازدهـرت والحمـد لله.

كمـا تزدهـر مسـاحة المعاهـد الإسـلامية فـي الولايـات المتحـدة، ونجـد النسـاء مـن بيـن أعضـاء هيئـة التدريـس. فمثـلًا، معهـد تيسـير Tayseer Seminary هـو أحـد المراكـز العديـدة المتزايـدة للتعليـم العالـي الإسـلامي مـن أجـل تدريـب القـادة الدينييـن الطموحيـن، وقـد أُسِّسـت هـذه المراكـز فـي العقـد الماضـي فـي الولايـات المتحـدة،

ويسـتضف المعهـد عـددًا مـن الطالبـات. ومـن أعضـاء هيئـة التدريـس «الباحثـة المقيمـة» الأسـتاذة زينـب الأنصـاري. بالمثـل تتمتـع الدكتـورة فريـال سـالم، الأسـتاذة المشـاركة فـي الدراسـات العربيـة والإسـلامية ومديـرة برنامـج ماجسـتير اللاهـوت فـي الدراسـات الإسـلامية والبرنامـج الكهنوتـي الإسـلامي للمسـلمين فـي الكليـة الإسـلامية الأمريكيـة فـي شـيكاغو، بسـنوات عديـدة مـن الخبـرة فـي تدريـب الأفـراد علـى العبـادات والعنايـة الروحيـة.

وأنـا ممتنـة لكونـي مـن بيـن أعضـاء هيئـة التدريـس المؤسسـين فـي معهـد بوسـطن الإسـلامي. يمكـن أن تسـتفيد هـذه المعاهـد اسـتفادة كبيـرة مـن المزيـد مـن المسـاهمات الماليـة لترسـيخ أسـس هـذه المؤسسـات الجديـدة. وكمسـلمين فـي أمريـكا، علينـا أن نسـتثمر فـي المعرفـة الإسـلامية وفـي الجيـل القـادم مـن الباحثيـن المسـلمين، ومنهـم النسـاء!

هنـاك أيضًـا نسـاء رائـدات فـي العنايـة الروحيـة. فالدكتـورة كميلـة رشـاد هـي أخصائيـة نفسـية إكلينيكيـة ومؤسـس ورئيـس مؤسسـة العافيـة Wellness الإسـلامية. ونجيبـة أكبـر هـي مستشـارة مسـلمة فـي الحيـاة الروحيـة الإسـلامية علـى المسـتوى الجامعي وتقدم خدمات احترافيـة لتدريب-الحيـاة life-coaching مـن أجـل مسـاعدة النـاس علـى النمـاء فـي قيمهـم الروحيـة وهويتهـم الدينيـة. وهـذا الدعـم مهـم جـدًا للذيـن يعيشـون فـي السـياق الغربي. ومـن المثيـر للاهتمـام أن دور ولقـب «كهنوتـي» يمنـح الباحثـات المسـلمات اللواتـي يشـغلن هـذه الأدوار مكانـة شـبيهة برجـال الديـن فـي الولايـات المتحـدة، ممـا يفتـح آفاقًـا مهنيـة جديـدة للقيـادات النسـائية واكتسـاب الشـرعية العامـة. وقـد يقـول الكثيـرون إن الأدوار المهنيـة للنسـاء كقـادة دينييـن قـد تأخـرت بشـكل مخيـف. وقـد يقـول البعـض (وقـد قيـل لـي هـذا) إن النسـوية الغربيـة بـدأت تفسـد تطلعـات النسـاء ممـا دفعهـن إلـى البحـث عـن الأدوار الدينيـة للرجـال وإهمـال أدوارهـن الأساسـية كربـات منـزل. أعتقـد أن هـذا المنظـور يغفـل عـن المسـاهمات الحيويـة التـي سـاهمت بهـا النسـاء فـي رعايـة الحيـاة المدنيـة الصحيـة. تُعتبـر المناصـب الكهنوتيـة بالجامعـة مواقـع مهنيـة نابضـة بالحيـاة بشـكل خـاص، حيـث تـؤدي

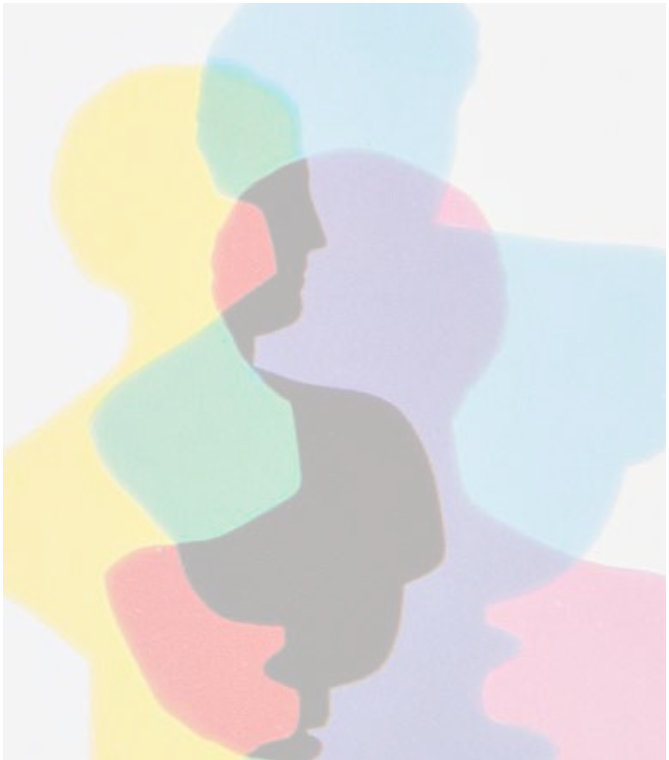

الباحثات ومقدمات الرعاية الروحية أدوارًا مهمة. فمثلًا الكاهنة نورا ذكي، التي تدربت في الكهنوت في جامعة شيكاغو، سافرت على نطاق واسع في جميع أنحاء العالم الإسلامي لمتابعة الدراسات في العلوم الإسلامية التقليدية، وأكملت التعليم السريري في مجال الرعاية الصحية. وسواء كان مقدمو الرعاية متطوعين يقدمون بشكل غير رسمي الإرشاد والرعاية الروحية أو كانوا متخصصين دينيين في الكهنوتية والأدوار التدريسية، فإن النساء ذوات مهارات الرعاية الدينية مطلوبات. وبصفتي باحثة وداعية مسلمة، أتلقى بانتظام أسئلة من النساء في جميع أنحاء العالم بحثًا عن إرشادات إسلامية عملية. إليكم روابط اختيارية لتضمينها إذا كان بإمكانكم ذلك:

للاطلاع على وصف للكهنوت الجامعي انظر:

Celene Ibrahim, Elizabeth Aeschlimann, and Nancy Fuchs Kreimer, "Campus Chaplains Hold the Center When Things Fall Apart," Harvard Divinity Bulletin 49, no. 162-52 :(2021) 2/. https://bulletin.hds.harvard.edu/campus-chaplains-hold-the-center-when-things-fall-apart/

ولنظرة عامة على المعاهد الدراسية الإسلامية في الولايات المتحدة انظر:

Celene Ibrahim and Nancy Khalil, "From the Madrasa to the Seminary: Training for Aspiring American Muslim Professionals," Maydan, August 8, 2018:

https://themaydan.com/201808//madrassa-seminary-training-programs-aspiring-american-muslim-professionals/

٨) نحمد الله على توفر كثير من وسائل التواصل بين المسلمين من شتى البقاع في الوقت الحالي، ومن واجبات الأخوة الإسلامية أن نتشارك أفكارنا ونشاطاتنا، وحتى العقبات التي تواجهنا؛ لذلك يسرّنا أن تحدثينا عن ظروف النساء المسلمات في الغرب وما أبرز النشاطات العلمية والدعوية التي تتعلق بهن، والتحديات التي يواجهنها.. خصوصا في أمريكا باعتبارها بلدك.

أظن أنني أجبت على هذا السؤال بشكل ما أعلاه.

٩) د. سيلين، يجمع تخصصكم بين دراسات المرأة والدراسات الدينية واللاهوتية. هناك تشابه في بعض التصورات في اليهودية والمسيحية والإسلام باعتبار أصلها الواحد، ومن المؤكد أن هناك اختلافات جوهرية فيما بينها كذلك. بحسب رؤيتكم، ما أبرز أوجه الشبه والاختلاف في تصور الأديان الثلاثة عن المرأة تحديدا؟

عندما ننظر عن كثب، نجد في الواقع اختلافات كبيرة في المنظور داخل التقاليد الدينية. ولذلك، فإن وجهات النظر اليهودية التقليدية حول الجنس، مثلًا، قد تشبه وجهات النظر الإسلامية التقليدية أو وجهات النظر المسيحية التقليدية بشكل أكبر بكثير من وجهات النظر التقدمية اليهودية التي تعيد البناء. ولوجهات النظر اليهودية الليبرالية حول الجندر تشابه أكبر بكثير مع وجهات النظر المسيحية البروتستانية الليبرالية. وتقدّم حركات المسلمين التقدميين وجهات نظر حول الجندر تعكس بشكل وثيق تلك الخاصة بالجماعات اليهودية الليبرالية والمسيحية الليبرالية. في المجتمعات الغربية أدى التركيز على الحرية الفردية إلى خلق مناخ يحرص فيه الناس بشدة على تأكيد حرية التعبير، بما في ذلك التعبير عن الجندر.

> إن التقدم التكنولوجي، حتى في السنوات الخمس الماضية أو نحو ذلك، يسمح إلى حد كبير للتواصل مع الباحثات الأخريات وإنشاء دوائر للتعلم والاجتماع عبر المناطق الجغرافية. وقد كان الوباء كارثيًا للعديد من المجتمعات، لكن العيش في عزلة نسبية لفترة طويلة أدى أيضًا إلى تعزيز التواصل عبر الإنترنت

١٠) لا شك أن دور المرأة كأم من أعظم الأدوار، وبالنظر إلى النماذج القرآنية نجد أن العديد من النماذج النسائية الصالحة كنّ أمهات عظيمات، مثل امرأة عمران، ومريم، وهاجر، وأم موسى، بينما كانت تتوق نماذج صالحة أخرى إلى الولد، مثل سارة، وآسية، وزوجة زكريا عليهم السلام جميعا. ونعرف أنكِ أيضا أم. فمن وجهة نظرك، ما أهم الصفات التي ينبغي أن تتحلى بها الأم الصالحة من خلال قصص القرآن وتوجيهاته؟ وما أهم التحديات التي تواجه الأمهات في زماننا من خلال تجربتك الشخصية أو خبرتك عموما؟

هناك شيء يمثل معجزة متعلقٌ بالقدرة الجوهرية للأجساد الأنثوية على إنتاج كائن جديد. وهذا من الآيات التي يمجّدها القرآن. قد نلاحظ أيضًا أن دور الرجل كأب هو دور كبير كذلك، أي أن الأبوة والأمومة بشكل عام أمانة مقدسة. ورعاية الأبناء من أنبل الأعمال. أكتب عن هذه العلاقات بالتفصيل في الفصل الثاني من كتابي. إن الأمهات اللواتي يقدمهن القرآن كقدوات كلهن مرتبطات ارتباطًا وثيقًا بالهداية الإلهية. وأعتقد أن هذا هو أهم جانب من جوانب الأبوة والأمومة بشكل عام.

١١) من الأفكار المهمة الواضحة في كتاباتكم وحديثكم عن المرأة في القرآن، فكرة تعدد أحوال النساء وتعدد أدوارهن. في العصر الحالي، هل تغيرت أدوار النساء التي يمكنهن القيام بها كنماذج صالحة في المجتمع المسلم بالزيادة أو النقصان؟ وما أبرز المجالات التي ترين أن إقبال المسلمات عليها سيكون أكثر فاعلية في خدمة الإسلام؟

كانت المرأة تخدم الإسلام، اقتداءًا بخديجة الكبرى (رضي الله عنها)، من خلال سعيها لإرضاء الله، وبكفاحها المالي، وإعالة أسرتها، ورعاية الفئات الأضعف في المجتمع. وفي المجتمعات الإسلامية المزدهرة نجد أن الأدوار الاجتماعية للمرأة نشطة جدًا.

شكرا جزيلا د. سيلين على وقتك. تشرفنا بمشاركتك في مجلة أوج، ونسأل الله لكم مزيدا من التوفيق والسداد.

الاستعراضُ القارونيّ

أ. هلا العريفي

مترجمة وطالبة دراسات قرآنية

{المالُ والبنون زينة الحياة الدنيا والباقياتُ الصالحات خيرٌ عند ربك ثوابًا وخيرٌ أملًا} [سورة الكهف-٤٦]

بهذه الآية عقّب المولى عزّ وجل على قصةِ صاحب الجنتين في سورة الكهف بعد ذكره أحداثَها، فإنّ من عادةِ الأسلوب القرآني الأخّاذ في سردِ قصصِ السابقين وأخبارهم، أن تُختتم القصة بتقريرِ سنةٍ من سنن الله تعالى في كونه، وتوكيدِ حقيقةٍ جليّة إلا أنّ غشاوةَ الهوى تُعمي بعض البشر وزخارف الدّنيا تُغويهم، فكان هذا القرآنُ العظيم هدىً وذكرى لكلّ ذي لُبّ كي يتفكّر، ويُبصر حقائقَ الأشياء وبواطنها ولا تغرّه ظواهرها {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الألباب} [سورة ص - ٢٩].

فمن الحقائق التي غابت عن صاحبِ الجنتين حتى جعلته يغترّ ويستطيل بنعمةِ الله على صاحبه الذي كان أقلّ منه رزقًا: اعتقاده دوامَ الحال التي كان عليها من وفرةِ الخيرِ والمال، وحتميّة البعثِ ولقاءِ الله تعالى للحسابِ والجزاءِ، وأنّه لا تلازم بين عطاءِ الدّنيا وعطاءِ الآخرة.

ولا يزالُ هذا النموذج المزهوّ بما أوتيَ من صنوفِ النّعيم الدنيوي يتكرر بتعاقبِ الزمان، وباختلافِ الحضاراتِ والأمم، وقد خلّد القرآنُ الكريمُ إحدى هذه النماذج حاكيًا عن طغيانِ ابن آدم وبغيه حين تُفتَح له الدّنيا، وتُبسط له خيراتُها وثرواتُها، وأقامَ أمثولةً تروي صراع الحقّ والباطل، وتمايزِ صفوفِ أصحابِ البصائر النّافذة في جواهرِ الأمور ومآلاتها، عن المُنبهرين بزينةِ الحياة الدّنيا الذين يُقلّبون أكُفّهم أسفًا ويقرعون أسنانَهم ندمًا على فواتِ حظوظِها.

{إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ} بداية مُجلجلة تهزّ وجدانَ التّالي لأواخرِ سورةِ القصص حيث ذُكرت قصّة قارون، ومما ينقدحُ في الذّهن هو التساؤل عن صورةِ هذا البغي، أكانَ بغيُ قارون كفرُه باللهِ تعالى؟ أم كان بغيُه في شيءٍ آخر؟ لقد كان قارون ابن عمّ موسى ومؤمناً بدعوته، وعابداً تالياً للتوراةِ مُتغنٍ بها حتى عُرف بحسنِ صوته(١)، ولكنّه بغيُ المالِ حين يتعدّى كونَه قوامًا لحياةِ المرء فيصير سببًا في اعوجاجها عن السبيلِ القويم -اللهمّ سلّم-.

وحين افتُتنَ قارون بهذا المال، سعى ليكون أثرى أثرياءِ ذلك الزمان؛ فمما قيل في معنى اسمه أنّه لقبٌ لُقّبَ به باللسانِ المصريّ القديم ويعني الجامع أو الحاوي للمال؛ فاللفظان المصريان: [كار، قار] يفيدان معنى الاحتواءِ والتخزينِ والحفظ(٢). لم تكن ثروة قارون شيئًا عاديًا، إنّما كانت حدثًا استثنائيًا ملأ الأسماعَ والأبصار، تتناقله الألسن، وتهفو إليه النّفوس، وتسرحُ فيه الأخيلة. يكفيكَ في وصفِ هذه الثروة قوله تعالى: {وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ} فمفاتح خزائنِ أمواله تعجز أقوى الجماعاتِ عن حملِها، هذه المفاتيح؛ فما ظنّك بالخزائن؟(٣)

وإنّه لشيءٌ عُجاب، أن يحظى قارون الذي هو من بني إسرائيل بهذه المكانةِ الاجتماعيّةِ المرموقةِ في المجتمع المِصريّ، ويتنعّم بكلّ تلك الممتلكاتِ والكنوزِ الهائلةِ في زمن الطّاغية فرعون المُستعبد لبني إسرائيل، والذي آلى على نفسه أن يُقتّلهم ويُشرّدهم ويستحيي نساءهم. فما سُرّ هذه الأموالِ الطائلة؟ مما أورده بعض المفسّرين حول كنوزِ قارون أنّها كانت نتاجَ تجارته وكدّه، أو أنّها هباتٌ وعطايا للمُقرّبين من البلاطِ الملكيّ الفرعوني، حيث كان قارون عينَ فرعون على بني إسرائيل، ينقلُ إليه أخبارهم ويبوح له بأسرارهم وتحرّكاتهم؛ فهو بذلك عميلٌ بارع يستحقّ التقريبَ والتّوجيب. وتبدأ فصولُ الخيانةِ والثورةِ على تعاليمِ موسى عليه الصلاة والسلام، وارتداءِ جُبّةِ الجبروتِ الفرعونيّ ليتحوّل قارون إلى عنصرِ ظلمٍ إضافيّ لبني إسرائيل إلى جانبِ ظلمِ فرعون!

فمما تذكره الرّواياتُ الإسرائيلية عن قارون (قورح أو hcaróK)(٤) أنّ الحسدَ دبّ إلى قلبهِ

فتمـرّد علـى دعـوةِ موسـى وهـارون عليهمـا الصـلاة والسـلام، وألّـب عليهمـا النـاس مُحتجًا بزعمه أنّ موسى وهـارون ليسـا سـوى رجليـن عاديين مـن بنـي إسـرائيل، وأنّهمـا ليسـا أحـقّ بالاتبـاعِ منّـه. إنّـه الغـرور حيـن يتمكّـن مـن الإنسـان، فينـازع الوحـي، ويعتـرض علـى اختيـارِ الخالـق عـزّ وجـل سـالكًا بذلـك طريـقَ إبليـس حيـن قـال: {أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}، ويظـنّ أن مـا يملكـه مـن جـاهٍ يخوّلـه مـن اسـتحقاقِ مكانـةٍ لا يستحقها الآخـرون. حتـى تمـادى بـه الأمـرُ إلـى مجـاراةِ فرعـون ووزيـره هامـان فـي تكذيبهـم موسـى عليـه الصـلاة والسـلام واتّهامـه بالسـحر {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣٢) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} [سـورة غافـر - ٣٢-٤٢].

وأثنـاءَ صمـتِ بعـض الأفـواهِ عـن صنيـعِ قـارون، نطـقَ الصالحـون مـن بنـي إسـرائيلَ محذّريـن وناصحيـن: {إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٦٧) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} فنهـوه عـن فرحِ البطـرِ الـذي يُذهِـلُ صاحبـه عـن شكرِ ربّـه، فيُقبِـل علـى هـذه الدّنيـا وينكـبّ علـى محبتهـا فتلهيـه عـن آخرتـه، ثـمّ دعـوه إلـى أربعـةِ أمـورٍ هـي وصايـا قرآنيـة هامّـة لـكلّ ذي مـالٍ:

دعـوةٌ إلـى البـذلِ مـن مالـه لآخرتـه فقـد أُعطـيَ مـا لـم يُعـطَ غيـره ممـا يكـون سـببًا فـي تحصيلـه الجنـان ورضـا الرحمـن، وأخبـروه أنّهـم لا يرشـدونه بذلـك إلـى بـذل كل مالـه والامتنـاعِ عـن الاسـتمتاعِ فيمـا أحلّـه الله لـه وفيمـا لا يثلـمُ دينـه، وإنّمـا ينفـقُ بعضـه ويتمتـع ببعـض، وأن يُحسـنَ إلـى خلـقِ الله ويُحسـنَ إليـه سـبحانه بطاعتـه وعبادتـه كمـا أحسـن المولـى إليـه بنعمـه(٥)، وألا يُفسـد فـي الأرضِ بتكبّـرِهِ وعصيانـهِ واشـتغالهِ بالنّعـمِ عـن المُنعـم(٦).

فهـل رقّ قلـبُ قـارون لذلكـم الرّفـق وتلكـم الحكمـة فـي النّصـح؟

{قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي}

«إنّ هـذه الكنـوز التـي ترونهـا يـا قـوم، إنّمـا هـي مـن كسـبي وبجـدّي واجتهـادي، وبسـبب محبـةِ الله لـي

ومـا رزقنيهـا إلا لعلمـهِ أنّـي أسـتحقّها!» ومـا أشـبه الليلـةَ بالبارحـة، فكـم مـن {أُوتيته على علمٍ} باتـت تتـردد علـى الألسُـن باسـمِ قوانيـنِ الاسـتحقاق وتضخيـمِ الـذات، ومـا ذلـك والله إلا إخفـاقٌ فـي معرفـةِ العبـدِ ضعفـه ونقصـه، وكان ممـا أوصـى بـه النبي-صلـى الله عليـه وسـلم- ابنتـه فاطمـة -رضـي الله عنهـا- قولـه: «مـا يمنعـكِ أن تسـمعي مـا أوصيكِ بـه، أو تقولـي إذا أصبحـتِ وإذا أمسـيتِ: يـا حـيّ يـا قيّـوم برحمتـكَ أستغيثُ، أصلح لـي شأني كلـهُ، ولا تكلنـي إلـى نفسـي طرفـةَ عيـن» [رواه النسـائي وصححـه الألبانـي] يقـول ابـن القيـم رحمـه الله معلقًـا علـى هـذا الحديـث: «مِـن ههنـا خـذل مَـن خُـذل، ووُفِّـقَ مَـن وُفـق، فحُجـبَ المخـذولُ عـن حقيقتـه، ونسـي نفسـهُ، فنسـي فقـره وحاجتـه وضرورتـه إلـى ربـهِ، فطغـى وعتـا، فحقّـت عليـه الشّـقوة، قـال تعالـى :{كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ}(٧) [سـورة العلـق-٦/٧]

ثـمّ جـاء الـردّ الإلهـي ليسحقَ هـذه الأنـا المُتعالية، وليقـررَ حقيقـةَ لا يغفـل عنهـا إلا جاهـلٌ بربّـهِ وبنفسـهِ: {أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} إنّ هـذه النّعـم التـي يرفـلُ بهـا قـارون ليسـت دلالـةَ علـى محبـةِ اللهِ لـه؛ فقـد أهلـك اللهُ مـن كانـوا أشـدّ منـه ثـراءً لمّـا بطـروا وجحـدوا نعمـةَ الله، كمـا أنّـه لا تـلازم بيـن العطـاءِ المـاديّ ورضَـا الله عـن الإنسـان؛ فـإنّ الله يعطـي الدنيـا مـن يحـبّ ومـن لا يحـبّ، ولا يعطـي الآخـرةَ إلا لمـن يحـبّ.

وعقـب تلـكَ المقولـةِ المُترعـةِ بتفخيـمِ النّفـس، أدارَ ظهـرهُ عـن النّاصحيـن، ليخـرجَ ذاتَ يـومٍ بأبّهتـه: {فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ}، فحدّقـت بـه العيـون، وتعاظمتْـه النّفـوس، وإزاء هـذا الظّهـورِ الخاطـفِ للأنظـارِ انقسـمَ المؤمنـون إلـى قسـمين: قسـمٌ ضعيـفٌ يقينُـه، شـديدٌ تعلّقُـه بزُخـرفِ الدّنيـا: {قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}، وكـم أضحـت {يا ليتَ لنا} تكثُـر فـي عالمنـا اليـوم الـذي يعـجّ بمظاهـرِ الاسـتعراضِ القارونـيّ المتغطـرس، لتتسـاقطَ أمامـه بعـض القلـوب نادبـةً حظوظهـا، وصائحـةً: {إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}! فـإنّ وسـائلَ التّواصـل الاجتماعـيّ التـي بيـن أيدينـا قـد تحوّلـت مـن كونهـا وسـائلَ للتواصـلِ المحمـود إلـى معـاولَ هـدمٍ للبيـوتِ، وأدوات تفكيـكٍ للأُسـر، ونوافـذَ للتباهـي والتفاخـر بكافّـة أشـكالِ الممتلـكاتِ والمـاركات، ومسـاحاتٍ لإعلانـاتِ المشـاهير وتجارتهـم بـلا مبـالاةٍ بجـوازِ هـذا المـالِ المجنـيّ مـن ورائهـا، وصـدق رسـولُ الله -صلـى الله عليـه وسـلم - حيـن قـال: {لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لا يُبَالِـي المَـرْءُ بما أَخَـذَ المالَ، أَمِـنْ حَـلالٍ أَمْ مِـن حَـرامٍ} [رواه البخـاري]. ولا يـزدادُ المُتفـرّجَ علـى هـذا الاسـتعراض إلا تيهًـا فـي دوّامـةِ الاسـتهلاك وتضييعًـا للأوقـات وإطلاقًـا للبصـر.

أمّـا القسـمُ الآخـر، هـم الذيـن لـم يغرّهـم تبختـرُ قـارون ولا ثـراؤه، هـم ذوو البصيـرة الذيـن عرفـوا حقيقـةَ الدنيـا وباطنَهـا ولـم يأسـرهم بريـقُ ظاهرهـا؛ فقـد أوتـوا مـن العلـم مـا جعلهـم يميّـزون الفانـي عـن الباقـي؛ فكانـوا يحـذّرون غيرهـم ويَثنونَهـم عـن تمنّـي مـا كان عليـه قـارون مـن رزقٍ مـاديّ وحرمـانٍ مـن الـرزق الأعظـم وهـو رزقُ الإيمـانِ والعمـلِ الصالـح: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ}، وفـي هذه الآية دلالـةٌ علـى فضيلـةِ العلـم، وكونـه مـن المعينـات علـى الثبـات أمـام الفتـن بـإذن الله تعالـى.

{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ} لقـد كان الثمـنُ الـذي دفعـه قـارون باهظًـا جـدًا، لـم يدفعـه مـن كنـوزه، بـل دفـع نفسـه فابتلعتهـا الأرض التـي تكبّـر فوقهـا، جـزاءً وِفاقًـا.

وهكـذا تُطـوى قصّـةُ رجـلٍ أوتـيَ ثـراءً فاحشًـا إلا أنّـه فقيـرُ القلـبِ مـن معرفـةِ فضـلِ ربّـه عليـه، وواجـبِ شـكره بالقـولِ والعمـل. لتتبـدّى للمتدبّـر فـي آيـات الله بعـد مشـاهدِ تلـك القصـة، حقيقـة لا تقبـل الشـكّ لتعيهـا أذنٌ واعيـة: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}.. لا يريـدون علـوًا بأموالهـم وزينتهـم؛ فتنصـرفُ أنفسـهم عـن الـدّار الآخـرة ويصرفـونَ غيرهـم عنهـا، ويفسـدون فـي الأرض بعـد إصلاحهـا.

وتُختتـم قصـة قـارون فـي سـورةُ القصـص بخاتمـة مهيبـة تقـفُ لهـا إجـلالًا مشـدوهًا مـن عظمتهـا: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} بعـد أن عرضـت نموذجًـا للعلـوّ فـي الأرض بالجـاهِ والسـلطان ليُـدرك الإنسـان حيـن يبغـي ويتكبّـر بمـا أوتيـه: أنّ مصيـرهُ الفنـاء!

{ويبقى وجهُ ربّك ذو الجلال والإكرام}.

المراجع:

(١) تفسير الطبري - سورة القصص.

(2) نشـوء البيـان - دراسـات قرآنيـة لغويـة تاريخية/احتمـالات فـي معنـى اسـم قـارون http://mbtda.com/alqab/qarun.php

(٣) تفسير السعدي - سورة القصص.

(٤) هنالـك خـلاف عمّـا إذا كان قـورح هـو قـارون المذكـور فـي القـرآن الكريـم، فقـورح ابـن يصهـار المذكـور فـي التـوراة كان ثائـرًا علـى دعـوة موسـى وهـارون ولـم يذكـر عنـه الغنـى، إلا إن إحـدى المخطوطـات التلموديّـة القديمـة تذكـر أن قـورح كان رجلًا فاحـش الثراء وقـد عاقبـه الله بـأن خسـف بـه وبممتلكاتـه الأرض (المصـدر: صحيفـة أورشـليم):

https://www.google.com/amp/s/m.jpost.com/jerusalem-report/jewish-world/the-people-and-the-book-korah-and-material-wealth/amp

(٥) تفسير القرطبي- سورة القصص.

(٦) تفسير السعدي - سورة القصص.

(٧) طريق الهجرتين ص ٦١ - طبعة دار الفوائد.

(٨) تفسير ابن عاشور - سورة القصص.

(٩) تفسير ابن كثير - سورة القصص.

(10) Korah: The Rebel of the Bible By Yehuda Altein | Chabbad Organization

(١١) نظـرات فـي سـور القـرآن | فايـز السـريح ، سـورة القصـص ص٢٣.

نماذج لشخصيات ناقدة للجندر

١/ (بين شابيرو) Ben Shapiro

(بنيامين آرون شابيرو) هو محامي وكاتب ومحلل سياسي أمريكي يهودي محافظ، من مواليد ١٩٨٤م (يبلغ ٣٧ عاماً اليوم)، اشتهر بعدائه للمسلمين وللقضية الفلسطينية والفلسطينيين، وكذلك عدائه للتلاعب بالهوية الجندرية والشذوذ الجنسي والتحول الجنسي والإجهاض والإباحية، ينطلق بوجه عام من أفكاره الدينية كونه يهودي أرثوذوكسي، وقد تزوج في عام ٢٠٠٨م من إسرائيلية من أصل مغربي (مور توليدانو). وقد اشتهر برنامجه الإذاعي السياسي (عرض بين شابيرو) The Ben Shapiro Show بصورة كبيرة منذ عام ٢٠١٧م.

● من أشهر كتبه

له قرابة ١٠ كتب، اشتهر في أولها بكتابه الذي كتبه عام ٢٠٠٤م وهو في سن ١٧ عاماً بعنوان (غسيل دماغ : كيف تقوم الجامعات بتعليم شباب أمريكا Brainwashed: How Universities Indoctrinate America's Youth)، ثم كتابه في العام التالي ٢٠٠٥م عن خطر الإباحية بعنوان (الجيل الإباحي : كيف تفسد الاجتماعية الليبرالية مستقبلنا Porn Generation: How Social Liberalism Is Corrupting Our Future)، وكذلك اشتهر بمعاداته لليسار الأمريكي المتحرر من قيود الدين والأخلاق، فأصدر كتابه عام ٢٠١١م لنقد الهيمنة المتحررة أخلاقياً على الإعلام في هوليود بعنوان (الدعاية في الفترة الممتدة : قصة هوليود الحقيقية عن كيف سيطر اليسار على تلفزيونك Primetime Propaganda: The True Hollywood Story of How the Left Took Over Your TV)، كما أصدر كتاباً عام ٢٠١٣م ينتقد المبالغة في تضخيم التنمر واستغلال الليبراليين والمتحررين لذلك في إسكات الأفواه التي تعارضهم بعنوان (المتنمرون : كيف تسكت ثقافة الخوف والترهيب اليسارية أمريكا Bullies: How the Left's Culture of Fear and Intimidation Silences America).

آراؤه في الجندر والتحول الجنسي:

بغض النظر عن آرائه المعادية للإسلام بشكل متعصب أو مقزز جلب عليه الكثير من اعتراضات الجمهوريين أنفسهم والإعلام (خاصة استخفافه بقتل المسلمين المدنيين العزل)، وبغض النظر عن مشاغباته السياسية وما تثيره من جدل خاصة في فترة رئاسة أوباما، إلا أن ما يثيره من اعتراضات على العبث الجندري والعبث في الهوية الجنسية والتحول الجنسي والشذوذ الجنسي ورفضه للإجهاض باعتباره عملية قتل هو ما يثير زخماً أكبر حوله وحول آرائه اليوم، خاصة مع اللقاءات الشبابية والجامعية والمعسكرات الطلابية التي يتم دعوته إليها في العديد من الجامعات الأمريكية، والتي يرافقه فيها وجود أمني مكثف لحمايته من احتجاجات ووقفات المعارضين من الليبراليين والنسويات والمدافعين عن الجندر والشذوذ.

هو أم هي؟

في عام ٢٠١٥م اشترك (بين شابيرو) في أحد العروض الحوارية (Dr. Drew On Call) مع الناشطة في حقوق المتحولين جنسيا (زوي تور Zoey Tur) وهي متحولة جنسيا لأنثى في عام ٢٠١٣م بعدما كانت رجلاً متزوجاً وأباً لطفلين (استمر زواجه ٢٠ عاماً قبل الطلاق في ٢٠٠٣م) ! وقد تعمد (شابيرو) أن يخاطبه طوال اللقاء بضمير المذكر، مما أغضب (زوي تور) في النهاية لتهدده بأنه إن لم يتوقف سترسله إلى بيته في سيارة إسعاف.

ولـ (شابيرو) عدة تصريحات عن حقيقة التحول الجنسي من غير ضرورة بيولوجية (سواء بعملية أو فقط بالهوية) قائلا : «لا يمكنك تغيير جنسك بطريقة سحرية» (مقال نيويورك تايمز عام ٢٠١٧م بعنوان Ben Shapiro, A Provocative 'Gladiator,' Battles to Win Young Conservatives) كما وصف التحول الجنسي بغير ضرورة بيولوجية بأنه نوع من الاضطراب العقلي وربطه بخلل اضطراب الهوية الجنسية (انظر موقع abcnews.go عام ٢٠١٧م بعنوان Outspoken conservative Ben Shapiro on whether free speech still has a place on college campuses وعام ٢٠١٨م بعنوان Outspoken conservative Ben Shapiro says political correctness breeds insanity).

أب وأب ؟ أم وأم؟

في مقال SFgate عام ٢٠١٧م الذي استعرضت فيه خبراً عن حضور (شابيرو) للقاء بجامعة بيركلي تحت تواجد أمني مكثف Ben Shapiro takes stage at UC Berkeley under extraordinary security ذكرت رأيه في زواج الشاذين جنسياً قائلاً : «رجل وامرأة يؤديان عملاً أفضل بكثير في تربية الطفل من رجلين أو امرأتين»، وفي مقال slate عام ٢٠١٨م الذي يتساءل عن أوجه (شابيرو) المتعددة ويتساءل عن الجهة الحقيقية التي ينتمي إليها The Many Faces of Ben Shapiro ينقل وصفه للشذوذ الجنسي على أنه «خطيئة»، كما نقل موقع ORA.tv عام ٢٠١٦م لقاءه المصور مع (ديف روبن) حول حقيقة اليسار مع حرية التعبير Ben Shapiro and Dave Rubin: Conservatism vs Leftism and Free Speech والذي اعترض فيه على فرض زواج الشاذين جنسياً على الكنائس بقوة القانون، وأن ذلك يتضمن (إجباراً لهم ضد إرادتهم)، كما انتقد ما تم إجبار المدارس عليه في كاليفورنيا كمثال لتدريس زواج الشاذين جنسياً في المدارس للأطفال، فقال أن ذلك مشين للدولة وأنه يجب أن تنأى عن ذلك، فأشياء مثل هذه تقتصر على نقاشات وتعاليم الأسرة والوالدين في البيت.

المُجتمعُ على الأهواء الشخصية

في اعترافات قناع

ليوكيو ميشيما

أ. زيدان الدين محمد

zidanedin7@gmail.com

في تحدٍّ للتصنيف أو تمرّدٍ على الهيكل التقليدي للكتابة الروائية، متَّبعًا بذلك النمط الأدبي الفرنسي الحداثي، يستدعي الساموراي الأديب يوكيو ميشيما أسمال تاريخه الشخصي لتقديم صورة جديدة من الاعترافات. وإذ كانَ للقدّيس أوغسطينوس اعترافاته «الدِّينية» التي تخدم الإله ومجده، ولِجَان جاك روسو اعترافاته «الإنسانية» التي توجِّه لخدمة الأناسيّ، فَلِميشيما اعترافاتهُ «الذَّاتية» التي من خلالها يسبرُ تاريخه تفسيرًا منذ الطفولة وحتى أوائل سنيّ الشباب، في انتضاءٍ لذاته إلى محلٍ من المواجهة الواعية لها في تشريفٍ من التهذيب؛ وبِذا نَعي لِما اعتبرَ ميشيما أنَّ اعترافاته «تمرينٌ إسپرطي». كما أنَّهُ لا يُمكننا القول أنَّ هذه سيرة ذاتية (تروي ما حدث وفعلَ كاتبها)، بل صورة مجهرية للذات (فحصٌ وعرضٌ للذَّات) لإعادة تشكيلها وفهمها في قالبٍ من التداعي الفِكري والروائي.

«لسنواتٍ عديدة، زعمتُ أن بمقدوري تذكّر أمور تراءت لي وقت مولدي».

وإن كانَ موضع الزعم مربكًا، إلّا وهكذا تبدأ الاعترافات في حُلّةٍ تتشّبه بروح جلجامش «هو الذي رأى كل شيء» والمقصد من حيث استجلاءِ الماضي واستيضاحه وسبر الذّات على رويّةٍ من حصافةِ الفهم، والتلميحُ بأنّه على درايةٍ تامّة كيف يراقب نفسه. على هذا النحو يصحبنا ميشيما لدهمةِ خَلَده، مستجلبًا تاريخه، راويًا نفسه، محللًا ذاته، فاهمًا ومستفهمًا لرغباته عبر ممرّات يقظته الجنسية التي هي ركيزةُ الاعترافات، ممّا يُؤهّل «اعترافات قناع» أن تصلحَ لدراسةٍ في طبيعة الرغبة ومبحثٍ في الذّكورة. يختلجُ مسرح الاعترافات الصّراع بين الضّمير الاجتماعيّ والرّغبة الشخصية، توليفةٌ حَرِجة من الواقع واليقظة، عبر سردٍ معقّد في صميمه، وفراسةٌ من الإضاءات المعذّبة والنّفِعة التي يسطّرها عرّاب الأحجية البلاغية ميشيما. على مسرحِ الإمبراطورية اليابانية في الحرب العالمية الثانية يسجّلُ ميشيما إشكاليّة حياته الجنسية، ألا وهي الميل الجنسي لذات جنسه (المثليّة). ولكن في أخبَاره عن مثليّته لَم تكن المقاصد لتبريرها وشَرعنتها كما يحدث في العالم المعاصر. بَل لمحاربتها، مُحاربة رغباته المنحرفة وتقويم ذاته في سبيل السواء. يسعى ميشيما لفهمِ مكانه في العالم، ريِّضًا في تحبير الحدود الصارمة في وضوحها بين الخداع الذاتي والواقع المفجع، أي بين القناع والمجتمع، وما يتطلّبه ذلك من جُهدِ التخلّص من فكرة أنّ وجوده يعتمدُ على خياله الخاص ورغباته دونما الاعتبار لروحِ المجتمع وأعرافه، وفي هذا نداءٌ لروح الفلسفة الإغريقية القديمة المتمثّلة في «الكوسموس» أي النظام الكوني لنيل الحياة الطيبة، فتبدو الاعترافات على غرار قصة «هِزيود: أصلُ الآلهة»: الانتقالُ من الفوضى إلى الكوسموس. وهذا هو ما يُميّز اعترافاته التي تُعدّ تمرينًا إسپرطيًا لمواجهة الانتكاسة الذّاتية.

«تُرى أي شعورٍ ينتابني لو كنتُ فتًى آخر؟ أي إحساسٍ يخالجني إذا كنتُ شخصًا عاديًا؟».

من ألق المأساة في هذا التساؤل، يشرعُ ميشيما إلى تفحّص الأسباب في بونِ ميله الجنسي عن ميل الفتية، يحدجُ نفسه كمُحلّلٍ متمرّس لينتحل القوامة؛ «فسّرتُ هذا الانحراف لنفسي على أنه يرجعُ ببساطةٍ إلى تكاسلي «بحيلةٍ مُنمذَجة، فإلى الكسل يعزو ميشيما مِثليته الجنسية والسادية والمازوخية التي تشكّلت ضمن يقظته المنحرفة - ومِن لطيف الذِّكر أن ميشيما أطلقَ على أحلام اليقظة هذه، مُعرّفًا رشيداً بـ «الحدث اللاأخلاقي» لِما لها من نتائجٍ بائرة على مسيرة المرء. للقضاءِ على هذا الكسل وُجبَ عليه استشراف النشاط والسّعي لـ «تملّك ناصية العادية» من حيث الإقبال على حياة الجنس الآخر. ومِن وراء هذا التفسير مقصدٌ مُبرّر لكلمة «قناع» التي استخدمها كعنوانٍ لاعترافاته، ومِن ثمّ فلسفةٌ للحياة وسط المجتمع بما يتطلّبه من لياقةٍ مكلّلة بالاحترام للتقاليد والأعراف، مقلّدًا إياها المعيار الأساسي لتهذيب نفسه. يصرّح ميشيما إدراكه منذ الطفولة ماذا يعني «الشعور المرتكس بالواجب الاجتماعي»، وعليه يهرعُ لتوطيد مفهوم خاص عن الحياة بكونها «مسرح» وهي فكرة رواقية سبقَ وطرحها إبكتيتوس في تعاليمه لمُجالدة الحياة والانتظام فيها، كما تغنّى بها شكسبير. الممثّل المسرحي يتطلّب وجود قناع يسعى بواسطته إلى إقناع الجمهور بالدور المنوّط به على خشبة المسرح. القناعُ كانَ إسقالةَ ميشيما لمنهجةِ نفسه، إلّا أنّ ذاك مَني بالكثير من الألم على روحه حتّى أنه نصّب الموت «هدفه الحقيقي في الحياة»، فبالموت تنتهي المسرحية ويتخلّص من عبء هذا القناع، فكانَ يربّي في نفسه توقّعًا بأنّ مصرعه في انتظاره في القريب العاجل مع ما يحدث في بلده خلال الحرب، إلّا أنّ السلام قد حلّ وهباءً أدبرت أمانيه بمعانقة مصرعه في خدمته العسكرية في الحرب. لكنّ إصراره المعذّب والمهذّب الصريح والجدير بالإعجاب بأن يتملّك «ناصية العادية» ما أتناه عن تحمّل عبء القناع، وليس من مسلكٍ أمامه سوى التجالد على انحراف ذاته وسط مجتمعه، فتراهُ يقول: «وحيث أنّ لحظة نزول السّتار لَم تكن بعيدة كثيرًا، فلربما من المتوقّع أنْ أُسَخِّر بمزيد من الاجتهاد القناع الذي اخترته لنفسي» ممّا يعني أنّ القناع له وظيفته الشريفة، ومن خلاله يُستنبَط تمرينٌ نبيه ينطوي على معانٍ كريمة في النِّضال لتحقيق التوازن.

فـي المجتمـع المُعاصـر ولـو كانَ أمـرَ القنـاع يوصـمُ بالنِّفـاق، فـإنّ الأقنعـة هـي حصـنُ المـرء مـن التدهـور والتسـافُل بمـا تفرضـه علينـا مـن استشـرافاتٍ لنواصـي الأخـلاق فـي ظـلّ عصـرٍ متحلّـل غيـر أميـنٍ علـى حسـن السـلوك والصـلاح. وذا المنهـج مـا قـد ذرَأ عـن ميشـيما سـوء المنعطفـات الخطّـاءة ممـا حصـرَ ميلـه فـي مُجـرد يقظـة جنسـية لَـم يسـنحَ لهـا فـي التسـرّب إلـى التطبيـق فـي واقعـه، ولـو أنـهُ قـد قيـل مـن الشـائعات أنّ لميشـيما زيـارات إلـى محافـل جنسـية مثليـة، فظهـوره اللائـق فـي المجتمـع رغـم مثليتـه أو كويريتـه، أيضًـا مزيّـة تتقلّـد أشـرف المعانـي مـن أي رزايـا أخـرى.

«أقسمتُ أنْ أقومَ بدوري بإخلاص».

لـدى ميشـيما قناعـة راسـخة - مـن خـلال سـرده فـي اعترافاتـه - بأنـه مجـرّد موظـف فـي مؤسسـة جسـده، وعليـه أن يديـره ويتعامـل معـه ومـا يواكـب لياقـة المجتمـع. مـا يطرحـهُ هنـا هـو درسٌ عـن تهيّـب النفـس وحُسـن إدارتهـا بمـا لا يسـنحُ لرغباتهـا أن تُشـاكل الاسـتقامة أو تصرفهـا الأفعـال المتأوّلـةُ علـى أشـنع مسـالكها عـن الاعتـدال. وكأنّ ميشـيما بهـذا يُخبرنـا بـأنّ الكـون يفضّـل أن يبكـي علـى أن يلبّـي مطامـع الخلاعـة والخطايـا.

مـن مُراهنتـه علـى النِّضـال الهـادف، يقـدّم ميشـيما صـورةً بانوراميـة لرؤيـة الـذات ورغباتهـا فـي العصـر الحديـث، وكيـف تحليلهـا مـع أشـرف الاعتبـارات للمجتمـع ومـا علينـا مـن حـسّ المسـؤولية تجاهـه.

عندمـا نتحـدّث عـن المثليـة الجنسـية أو طيـف مجتمـع الـ QTBGL اليـوم فنحـنُ لا نتحـدّث عـن هويّـات، بـل عـن التـزامٍ سياسـي تقدُّمـي، والقميـنُ بالذِّكـر فيمـا يخـصّ اعترافـات ميشـيما التـي يعتبرهـا الطيـفُ المِثلـي والكويـري مصـدرٌ لفهـم معاناتهـم، أنّ ميشـيما يبيـتُ بعيـدًا عـن هـذه الأذهـان إذ يعـدّ المثليـة وهـذه الميول جـزءًا مـن الانحـراف وبواعـث الاشـمئزاز التـي لاحقتـه بشـعورٍ سـاحق بالعـار، وعلـى أنَّ اعترافاتـه مشـفوفة بهـذا الميـل، إلّا أنّـه مـا سـرّحه دونمـا يقشـبه ضبطًـا، ولَـم يُبـرّره برغـم قراءتـه النظريـات العلميـة الجنسـية للعالـم اليهـودي «هيرشـفيلد» المشـهور بانحـراف أبحاثـه فـي القـرن العشـرين، و ذَا مقصـدٌ سياسـي واجتماعـيٌ حصيـف؛ تـراه يقـول فـي الاعترافـات بعـد أن قـرأ نظريـات هيرشـفيلد عـن أن المثليـة نتيجـة طبيعيـة ولا تسـتدعي الشـعور بالعـار:

«[...] لكـن ذلـك لا يعنـي أن حياتـي العاطفيـة قـد اسـتقامت مـن خـلال الاسـتيعاب الفكـري لهـذه النظريـات. كان مـن العسـير أن يصبـحَ اللـواط واقعًـا فـي حالتـي... ولـم يكـن يتجـاوز كونـه دافعًـا مظلمًـا، يصـرخ عبثًـا، مكافحًـا فـي عجـزٍ وعمـاء».

المُلاحَـظ مـن هـذا، أنّ الـذي اعتـزمَ أن يحـذو الانضبـاط الإسـپرطي فـي مسـيرته لا يقـرُّ بأنـه علـى الإمـكان مـن أن يُعبِّـد الطريـق لـ«باخـوس إلـه الخـراب».

المعـروف عـن ميشـيما أنـه ارتبـطَ بامـرأةٍ فاضلـة، وكـوّن أسـرة سـليمة القيـم فـي المجتمـع اليابانـي، برغـم مثليتـه، ولعـل ذلـك يرجـعُ إلـى تجـذّر الفكـر الأخلاقـي للكونفوشيوسـية وفلسـفة السـاموراي، واحتـرام التسلسـل الهرمـي الاجتماعـي فـي اليابـان، وذَا يختلـفُ بشـدة عـن الفرديـة الغربيـة التـي نراهـا اليـوم تُشـرعنُ الأهـواء وتبرّرهـا تحـت أيديولوجيـة حقـوق الإنسـان والحرّيـات المطلقـة فنشـهدُ علـى أوضارهـا مذبحًـا للفضائـل ممـا جعلنـا علـى ملامسـةٍ وكيـدة لـ «اضطـراب الأخلاقـي والاجتماعـي الـذي يركـضُ فيـه الوالـدان المذعـوران عائديـن إلى الكنيسة الأم، يتوسّـلون إليهـا أن تُهـذِّب أطفالهـم مهمـا كانـت التكاليـف التـي سـتتحمّلها الحريـة الفِكريـة.» [ديورانـت، دروس التاريـخ].

هنـا تمامًـا يفشـلُ اليسـار فـي اسـتخدام ميشـيما كواجهـة لتسـويق الميـل المهلهـل مـن الابتـذال النفسـي والوجـودي، خاصـةً وأنّ المثليـة اليـوم هـي ديـنٌ تقدّمـي بامتيـاز، وميشـيما لـم يكـن تقدّميًـا، بـل علـى النقيـض مـن التيـار اليسـاري، ولـذا يُفهـم ميـل شـبّان اليميـن نحـوه وأفـكاره. فنخبـةُ تجـارب ميشـيما تنـأى عـن قبيـح السـيرة التـي يتزيّـن بهـا لوبـي الأيديولوجيـة المثليـة ومـا يـروّج لـه مـن سُـفهٍ تحـت رائـق المسـمّيات.

فـي حـال أردنـا الاعتـدال فـي مذهـبِ الحيـاة نقـولُ أنّ المثليـة ومثيلاتهـا إنْ اقتصـرت علـى الميـل الفـردي الشـخصي والخـاص، فعلّ ذلـك يكـون مفهومـاً كمـا كانَ فـي سـالف التاريـخ مـن هـذه الظاهـرة التـي لـم تخبرهـا العصـور الماضيـة بمـا يستفشـي الطاعـون الأخلاقـي فـي المجتمـع.

ولكـنّ الأمـر اليـوم يتجـاوز ذلـك إلـى حـدٍّ مـن الأيديولوجيـة التبشـيرية، فسـدوم وعمـورة لَـم تعـد منعزلـة، بـل توّجـت علّاتهـا بالطبيعـة الحـقّ والدِّيـن الـذي يجـب أن يُبشَّـر بـه، أي أنّ المثليـة اليـوم حالـت بينهـا وبيـن كونهـا مسـألة شـخصية، فتجـاوزت ذلـك

إلى النِّضال ليُعترف بها كجزء أساسي من هويّة المجتمع. هذا الخلط الساحق بين الأمر الشخصي وهوية المجتمع هو ما يبلجُ عنه أشدّ صور الاضمحلال التي تُصيبُ المجتمع، فيغدو كل هوىً شخصي تمثيلٌ لهوية مجتمعاتنا، وبِذا تُستنزف أعمدة الحضارة بلا مغنمٍ إلّا في سياق الفوضى.

بتجاسرٍ على الإسقاط، يُمكننا إسقاط قصّة «مصرع جان كالاس» على ما يتقلّده النشاط المثلي الجنسي اليوم، والذي لا تخفى تمظهراته عن العيان (وعلينا بالتذكير أنّ هذا ليس من الحقوق في شيء، بل دين سياسي تقدّمي). وهي روايةٌ حقيقية حدثت عام ١٦٧٦م، ورواها ڤولتير. قطبان هما أسّ الحكاية والإسقاط، فجان كالاس نصوّره بالمجتمع السّوي، وأهل تولوز لأشبه بطيف الأيديولوجية المثلية من التَّمرةِ بالتَّمرة. يُعدم جان كالاس وتُشرّد أسرته وذلك عن إجماعٍ من أهل تولوز بقذف جريم تهمةٍ مقبّحة باهتة من الدلائل البيّنة بأن جان كالاس البروتستانتي أقدمَ على شنق ابنه (الذي مات منتحرًا في الأصل) كراهيةً في الدين الكاثوليكي، في ادّعاءٍ بأنّ ابن جان كالاس كان سيرتد عن البروتستانتية ويصيرُ إلى الكاثوليكية لولا أنّ والده جان كالاس شنقه. على اعتبارٍ مقبول لحدٍ كبير بتصوير المثلية أنها دينٌ تبشيري ونظام شمولي، فإنّها تُماثِلُ في ديدنها ديدن أهل تولوز المتعصّبين لدينهم، السّاعون لبليّة التجنّي على كل من يخالفهم وتحت اسم العدالة والتحضّر.

فهُم لا يكتفون بهذا الميل لأنفسهم، بل ماضون في نشره وبرمجة السواد عليه، ومن يأبى على نفسه وأهله ومجتمعه ذلك، تراهم يتلفّعون له باسمّ الاستراتيجيات الجَمعية، فهناك من الاستراتيجية النفسية العكسية التي يستخدمونها على هذا النحو : «أنتَ تخشى المثلية وتتنمّر على أفرادها، فذلك يعني أنك تخفي مثليتك»، وهناك غيرها من الاستراتيجيات المُتجلببة بـ «التسامح، الحب، الحق، الحرية، العدالة، التعددية...إلخ». ونحنُ إذ ترانا نكيلُ لأيديولوجية المثلية، فذلك ليس إنكارًا له، فلطالما كانت موجودة في التاريخ ولكن وجودها اليوم يختلف كما أوضحنا سابقًا، ولسنا بمحدّثين عنها في الدائرة البيولوجية؛ فعلى علمٍ نحنُ بأنّ حتى النتائج للبحوثات العلمية في هذا الشأن، أصبحت في قبضة الرأي العام الذي بدوره يُوجّه ويُخلَق من قبل أيديولوجيات سياسية تدميرية.

قُل إنما نتحدّث عنها من سياقٍ اجتماعي وأيديولوجي نشهدُ مآلاته على مسرح عالمنا وسياساتنا، وأخلاقنا وثقافاتنا.

في دهاءٍ بلاغي كالبَحرِ في بُعدِ الغور وقُرب المغترف، نخلصُ إلى أنَّ ميشيما في اعترافاتهِ وتعريته لمثليته الجنسية، ينتهجُ طقوس الساموراي وجلد الإسپرطي للامتثالِ إلى مظهر مجتمعه قبل كل شيء، نُبل هذه العناية الأصيلة لثقافته ومجتمعه درسٌ فريد ووثيق يقدّمه ميشيما للأذهان، وقد جاءت خاتمة اعترافاته على انتخابٍ من حُسن التصوير الرمزي، تَشي بأنّ الانعكاسات المتألقة هي العهد بهويّة مستقرّة:

«كان الأوان قد جاء، نهضتُ واختلستُ نظرة أخرى إلى تلك المقاعد تحت الشمس، كانت المجموعة قد مضتْ فيما يبدو للرقص، والمقاعد شاغرة تحت بريق الشمس، كان نوع من الشراب منسفحًا على سطح المائدة، وكانت ترتدُّ عنه انعكاسات متألقة، مفعمة بالوعيد.»

النسوية والإسلام:
الجندر بوصفه مدخلًا عقديًّا للإلحاد واللادينية

أ. الحارث عبد الله بابكر
تويتر: @west_host

من الملاحظات التي يصعب تجاهلها خلال الفترة السابقة وجود مدٍّ نسويّ وسط السياق الإسلامي، ومن الصعب أيضًا عدم ملاحظة وجود علاقة وثيقة بينه وبين إلحاد العديد من الفتيات اللواتي تربين وسط أسر مسلمة ثم تعرضن له فكان عاملًا من عوامل رفضهن للدين ولجوئهنّ للإلحاد. هذه الظاهرة لا تنحصر فقط في الأوساط الإسلامية، ولكنها لوحِظَت أيضًا في السياق المسيحيّ واليهوديّ. فقد ورد في العديد من دراسات التدين ملاحظات بهذا الصدد، مثلًا في بريطانيا: «النساء اللواتي يصنِّفنَ أنفسهنّ على أنهنّ نسويّات من المرجح أن يَكُنّ أقلَّ تديُّنًا مقارنَةً بعموم النساء»،(١) وأنّ «سبع من كل عشر نساء -تقريبًا في عموم السكان؛ ينتمينَ إلى ديانةٍ مُحدّدة كالبوذية والمسيحية والإسلام، ولكن بين صفوف النسويّات، لم تبلغ هذه النسبة سوى امرأةٍ واحدةٍ من كل عشر نساء كان لها انتماء من هذا القبيل».(٢)

هذه الملاحظات -وغيرها- تطرح أسئلة مهمة بخصوص العلاقة بين الإسلام (والأديان عمومًا) والنسوية، خاصةً أنّ من الادعاءات المشهورة بخصوص هذا الصدد أن الفكر النسويّ يراعي «الخصوصيات الثقافية» لكل مجتمع، وأنّ هنالك نسوية إسلامية قائمة تتبنّى كلًّا من الدين والنسوية. يحاول هذا المقال بحث جانب أساسيّ من هذه العلاقة عبر تناول مشروع الجندر -والذي أصبح يشكل العمود الرئيسيّ للمشاريع البحثية النسوية- والمكانة التي يشغلها في العقيدة النسوية، وكيف تم تطبيقه في التعامل مع الدين وما هي النتائج التي وصل إليها هذا المشروع وعلاقتها بالإلحاد واللادينية، ويختم بمرور خفيف على الحالة شديدة الإشكالية للـ»النسوية الإسلامية» التي -كما يحاجج المقال- تضطر إلى التعامل مع كلٍ من مفهوميّ الدين والجندر بانتقائية ومخاتلة لإخفاء التناقض الذي يقع في قلب هذا المشروع.

حول مشروع الجندر:

«إن الفرد لا يولد امرأة، وإنما يصبح امرأة».(٣) مثّلَ هذا التقرير للفيلسوفة الفرنسية الشهيرة سيمون دي بوفوار شعارًا مهمًّا في مسيرة الموجة الثانية من الحركة النسوية، فهو كان التدشين الأول للفكرة التي ستصبح خطة العمل الرئيسة للبحث الأكاديمي النسويّ، وكما تؤكد ويندي سيالي هاريسون Wendy Cealey Harrison فإن: «التفريق بين الجنس/الجندر كان أساسيًّا للازدهار الكامل للموجة الثانية من النسوية... وقد تبع ذلك ما يزيد على الثلاثين سنة من البحث النسويّ المثمر بشكل هائل، والذي أثبت أن ما كشفه مصطلح «الجندر» كان مجالًا واسعًا وخصبًا فكريًّا».(٤)

تدور الفكرة الرئيسية لمفهوم الجندر حول أنّ «صفاتنا النفسية والاجتماعية وأدوارنا لا تولد معنا بل نكتسبها من خلال التربية والثقافة المحيطة»،(٥) وأنّ «الاختلاف الطبيعي الوحيد بين الذكر والأنثى هو في تلك الوظيفة [الإنجاب]، أما الاختلافات الأخرى من حيث الطباع أو الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها كل من الذكر والأنثى، فهي ليست مرتبطة بالاختلافات البيولوجية أو الفيزيولوجية الموجودة في جسد كل منهما، بل بسبب عوامل اجتماعية صنعها البشر أنفسهم».(٦)

(1) Aune, Kristin. "Much Less Religious, A Little More Spiritual." Feminist Review, vol. 97, no. 1, Mar. 2011, pp. 32–55.

(2) Aune, Kristin. "Why Feminists Are Less Religious." The Guardian, Guardian News and Media, 29 Mar. 2011, www.theguardian.com/commentisfree/belief/2011/mar/29/why-feminists-less-religious-survey. Accessed 23 September 2021.

(3) "The Second Sex", Simone de Beauvoir, p-301, (New York: Vintage Books) 1973

(4) "The Shadow and the Substance The Sex/Gender Debate", Wendy Cealey Harrison, p35, in "Handbook of Gender and Women's studies", edited by: Kathy Davis, Mary Evans, and Judith Lorber.

(٥) «النسوية: مفاهيم وقضايا»، مية الرحبي، ص76.

(٦) «النسوية: مفاهيم وقضايا»، مية الرحبي، ص79.

فمفهوم الجندر في أساسه النظري عملية فصل بين الأدوار الاجتماعية والطبيعة البيولوجية، أي «أن دي بوفوار تفصل ما بين الجنس كبيولوجيا وبين الجنوسة [الجندر] باعتبارها تشكلًا اجتماعيًّا ثقافيًّا»،(٧) ثم هو ينظر لهذه الأدوار الاجتماعية باعتبارها وسائل يستعملها النظام الذكوري لترسيخ هيمنة الرجال على النساء، عبر ربط معنى الأنوثة بالأمومة والحياء والرقة مثلًا وجعلها نتيجة لذلك خاضعة لسلطة المجتمع والأسرة، بينما في الحقيقة - بالنسبة للمتبنين لمفهوم الجندر- لا توجد علاقة بين هذه الصفات النفسية والاجتماعية وجنس الأنوثة.

ومفهوم الجندر بهذا التوصيف هو نظرية اجتماعية، فهو «يشكّل عند مستخدميه معيار التفسير لفك شفرة الحياة الاجتماعية والعلاقات الإنسانية، من خلال فكرة رئيسة: الاختلافات بين النساء والرجال ليست مرتبطة بتغاير طبيعي، ولكنها نتاج بنية ثقافية، والتي نُظِّمَت برمّتها لترسيخ الهيمنة على جنسٍ من طرف الآخر... فمفهوم النوع [الاجتماعي، أو الجندر] يغطي كذلك رؤية معينة إلى العالم ونظرية. المفهوم نفسه لا ينفصل عن الفرضية التي يرتكز عليها، التي تدّعي السّمة الثقافية والتي تنبني على الاختلاف بين الرجل والمرأة».(٨)

وبما أنه يمثل مفهومًا ضمن نظرية اجتماعية فهو بصورة حتمية متحيز وذو اتصال مع أرضية ثقافية وفلسفية ينطلق منها ويفترضها، وفي ذلك يقول الدكتور خالد بن عبد العزيز السيف: «إن أي مصطلح لا يمكن أن يُولَد في فراغ، ولذلك فهو ينتمي إلى المنظومة الفكرية والفلسفية التي وُلِد فيها، ومرجعيته هو الحقل والسياق الثقافي والمعرفي الذي عبّر عنه إبّان تشكُّله، ويمكن أن يعبر عن السياق الذي تشكل فيه بأنه هو هوية المصطلح، ولذلك فكل بحث في دلالة المصطلح دون اعتبار لهوية المصطلح يعتبر بحثًا غير مكتمل الجوانب، فكثير من المصطلحات ليست مفاهيم عالمية كونية متعالية عن الزمان والمكان، وليست متجردة عن الخصوصية التاريخية والحضارية، بل تتحيز هذه المصطلحات إلى هويات راسخة سواء كانت فلسفية أو دينية...».(٩)

لكن وكما تذكر الأستاذة ملاك الجهني: «استخدام المفاهيم التحليلية الغربية بطريقة انتقائية، بحيث ننتقي منها ما يناسبنا من الدلالات وننفي أخرى لا يفصم المفهوم عن جذوره ولا يفرغه من حمولته الثقافية بحال».(١٠) لذلك التعامل مع المضامين التي يقدمها مشروع الجندر كحقائق نهائية يتجاهل حقيقة كونها مجرد نظرية اجتماعية، وكما يذكر فرانسوا-كزافييه بيلامي: «المدافعون عن هذا المفهوم الذين يستخدمونه بشكل واسع اليوم ... يرفضون بشدة أن تكون «نظرية» ما مخفية وراء هذا المفهوم. ولكن هذا الرفض ليس له ببساطة أي معنى ... تفسير التاريخ والأدب والحياة الاجتماعية كأماكن للهيمنة الذكورية من خلال إقامة القوالب النمطية حول الجنسين، يمكن أن يكون فرضية للاشتغال؛ ولكن الأمر يتعلق كثيرًا بنظرية خاصة، وبهذا الصدد فهي لا تملك دليلًا مُؤَكَّدًا لا جدال فيه.»(١١)

ومن الجوانب المهم الوعي بها أيضًا -إضافة إلى أن مفهوم الجندر ينطلق من أرضية فلسفية ونظرية اجتماعية محددة-، فإن مفهوم الجندر أيضًا لا ينفصل عند أكثر المتبنين له عن الموقف الأخلاقي المصاحب له، فقد تم الربط بين عملية وضع الأدوار الاجتماعية للرجال والنساء بفكرة

(٧) «الأسس الفلسفية للفكر النسوي الغربي»، خديجة العزيزي، ص ٣١.

(٨) «نظرية النوع (الجندر) ليست سوى فرضية أيديولوجية»، فرانسوا-كزافييه بيلامي، ترجمة: زيد أولادزيان، تحرير: سهام سايح. موقع أثارة من علم.

https://atharah.com/the-theory-of-gender-is-ideological

(٩) إشكالية المصطلح النسوي، دراسة دلالية: مصطلح «المساواة»..«الحجاب»..«التمكين».. أنموذجًا»، د. خالد بن عبد العزيز السيف، ص ٤١، مركز تكوين للدراسات والنشر.

(١٠) «القراءة الجندرية للقرآن ومآلات التسول الثقافي»، ملاك الجهني، موقع مركز نماء للبحوث والدراسات.

https://nama-center.com/Articles/Details/30521

(١١) نظرية النوع (الجندر) ليست سوى فرضية أيديولوجية»، فرانسوا-كزافييه بيلامي، ترجمة: زيد أولادزيان، تحرير: سهام سايح. موقع أثارة من علم.

https://atharah.com/the-theory-of-gender-is-ideological

هيمنة الرجال على النساء، باعتبار أن الحديث عن وجود تغاير «طبيعي» بين الرجل والمرأة هو ادعاء تم استعماله لمدة طويلة لقمعها والهيمنة عليها وجعل ذلك أمرًا طبيعيًّا، وبذلك سيُستعمَل الجندر لتفكيك هذه «الطبيعية» ولبيان أنها اجتماعية، أو على حد وصف كاملا بهاسين: «طَرح الاختلاف بين «الجنس» والنوع الاجتماعي «الجندر» لمعالجة التوجهات العامة التي تُرجِع خضوع المرأة إلى تركيبتها الجسدية. إذ ساد طويلًا الاعتقاد بأن التباين بين خصائص دور المرأة والرجل ومكانة كل منهما في المجتمع تُحَدَّد وفقًا للتصنيف البيولوجي للجنس المعين، لذلك اعتُبِرت هذه الخصائص طبيعية وغير قابلة للتغيير. بهذا المفهوم: ظل التكوين الجسدي للمرأة، ولا يزال، سببًا مباشرًا لخضوعها في المجتمع. وفي حالة قبول هذا كوضع طبيعي من البديهي ألا تثار قضية عدم المساواة وعدم العدل في المجتمع».(١٢) ولذلك يتم النظر إلى الاختلافات في بعض التشريعات الاجتماعية بين الرجال والنساء وردّها إلى اعتبارات تتعلق باختلاف طبائع الرجال والنساء على أنها وسيلة للحفاظ على الهيمنة الذكورية من الرجال على النساء.(١٣)

التشريع الإسلامي والجندر:

إذا تأمّلنا فلسفة التشريع في الدين الإسلامي سنجدها تقوم على مفهوم العدل كمبدأ أساس فيها، إذ يقول الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله: {لَقَد أرسَلنَا رُسُلَنَا بالبَيِّنَاتِ وَأنزَلنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ والمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بالقِسْط..}(١٤) يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -قدّس الله سره-: «العدل واجب لكل أحد على كل أحد في جميع الأحوال، والظلم لا يباح شيء منه بحال»(١٥)

ولكن العدل في التشريع الإسلامي يفترق في جوانب كثيرة عن العدل في مفهومه الليبراليّ الغربي الذي يقوم على المساواة المطلقة، فالشريعة تراعي اختلاف الطبائع فتساوي في حالات وتتغاير التشريعات في حالات. كما أنّ القرآن الكريم أكّد في حالة تشريعات الرجل والمرأة أنّ بينهما تغايرًا طبيعيًّا يوجب اختلاف التشريعات بينهما، مع تساويهما في أصل الخلقة وفي المسؤولية والتكليف واستحقاق الثواب أو العقاب، وفي ذلك يقول الدكتور سلطان العميري: «ومن كمال الشريعة الإسلامية وعمق تفاعلها مع الحياة الإنسانية أنها لم تبنِ العلاقة بين الرجل والمرأة على المساواة، وإنما جعلت العلاقة بينهما قائمة على معنى العدل، الذي هو إعطاء كل ذي حق حقه وما يستحقه ويتناسب مع طبعه وخواصه، وهذا الإعطاء قد يكون بالمساواة وقد يكون بالتفاضل بين الجنسين، فالمعنى الذي تعتبره شريعة الإسلام وتعتمده في بناء أحكامها هو الوصول إلى الحق المناسب لطبيعة كل من الرجل والمرأة، ولأجل هذا اختلفت أحكامها وتشريعاتها المتعلقة بالرجل والمرأة، فأوجبت على الرجل أشياء لم توجبها على المرأة، ومنعته من أشياء لا تمنع المرأة منها، وكذلك أوجبت على المرأة أشياء لا توجبها على الرجل، وتمنع المرأة من أمور لا تمنع الرجل منها ... فالعلاقة بينهما في الإسلام تتفرع إلى ثلاثة أحوال أساسية: تارة تقدم المرأة على الرجل وتُفَضَّل عليه، وتارة يقدم الرجل على المرأة ويفضل عليها، وتارة لا يفضل أحدهما على الآخر».(١٦) وقد ورد في سبب نزول قوله تعالى: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِعضَكُم عَلَى بَعض للرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكتَسَبُوا وللنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكتَسَبن..} ما يتضمن التأكيد على وجود فوارق طبيعية بين الرجال والنساء، ويقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد -رحمه الله-: «وهذه الأحكام التي اختصَّ اللهُ -سبحانه- بِهَا كل واحد من الرجال والنساء تفيد أمورًا منها ... الإيمان والتسليم بالفوارق بين الرجال والنساء: الحسية والمعنوية والشرعية، وليرضَ كلٌّ بما كتب الله له قدرًا وشرعًا، وأنّ هذه الفوارق هي عين العدل، وفيها انتظام حياة المجتمع الإنساني.»(١٧)

(١٢) «فهم النوع الاجتماعي [الجندر]»، كاملا بهاسين، ص٧، ترجمة ونشر: مركز سالمة لمصادر ودراسات المرأة، ط٢.

(١٣) تجدر الإشارة أنّ مفهوم الجندر قد مر بتحولات وتغيرات منذ تلك الفترة، تتوجت بإخراج جوديث بتلر لكتابها «ورطة الجندر "والتي كانت أساسًا لتجاوز حتى ثنائية ذكر\أنثى وتجاوز الغيرية الجنسية Heterosexuality بوصف كل هذا كخيارات يتم فرضها في المجتمع على الأفراد وتتشكل عبر الأفعال الأدائية، ففي الكتاب تجعل جوديث بتلر ليس الجندر وحده بناءً اجتماعيًّا، ولكن الجنس نفسه.

(١٤) سورة الحديد، الآية ٢٥.

(١٥) «مجموع الفتاوى، المجلد الثلاثون» أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ص٣٣٩.

(١٦) ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، د. سلطان بن عبد الرحمن العميري، المجلد الثاني، ص٥٢٣.

(١٧) حراسة الفضيلة، بكر بن عبد الله أبو زيد، ص٣٠، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

من الواضح هنا وجود اختلافٍ جذريّ بين ما أوحى به الله عزّ وجلّ بوصفه طبيعة للرجل والمرأة، وبين المنظور الذي يتبناه مفهوم الجندر لطبيعتهما، كما أنّ الشرع يرتّب على هذا الاختلاف تشريعات في الحياة الاجتماعية جاء مفهوم الجندر بالأصل بغرض تفكيكها بوصفها تشريعات ذكورية وتعزز هيمنة الرجال على النساء. [غنيٌّ عن القول الإشارة لأننا نتحدث عما هو فعلًا من شرع الله سبحانه وتعالى، أما الواقع فقد يختلط فيه ما هو من شرع الله مع ما هو عادات وتقاليد وتشريعات موروثة قد تخالف أمر الله بالعدل، كالحرمان من التعليم أو من الصحة أو من الميراث، أو غيرها مما أباح أو أمر الله عز وجل به من الأعمال والنشاطات].

وعموم الأنظمة الاجتماعية البشرية عبر التاريخ انتظمت على أساس من تقسيم الأدوار الاجتماعية بين الرجل والمرأة، وعموم الأديان تاريخيًّا تمثّلت هذه الحقيقة، وتؤكد ذلك باميلا ديكي يونغ بقولها: «في العديد -وربما أغلب- الأديان نجد أن تراثها نظر إلى الجنس والجندر باعتبارهما مترادفين».(١٨) وقد اضطلعت النسويات عبر مفهوم الجندر بإعادة قراءة التاريخ وتفكيكه عبر مفهوم الجندر وفلسفته الضمنية بغرض نقد وتوجيه هذه التقسيمات والتي نظرنَ إليها بوصفها «ذكورية» و «متحيزة ضد المرأة».

فكيف إذًا نظرت النسويات المتبنيات لمفهوم الجندر للإسلام، وماذا كانت نتيجة إدراك هذا الاختلاف؟

كيف تمت دراسة الأديان عبر مفهوم الجندر؟

إذا تأملنا في الفترة التي نشأ فيها العمل الفكري والفلسفي النسوي قد كان خلال النصف الثاني من القرن العشرين، أي بعد الانتشار الواسع للعلمانية وبعد أن أصبحت الأسئلة التي كانت مهيمنة قبل تلك الفترة في السياق الأوروبي -حول وجود الله والدين ومرجعية الكتاب المقدّس- مُتجَاوَزَة، ولذلك تلتقط كريستين أوفرول Christine Overall ملاحظة لها دلالة في هذا السياق بقولها: «عندما تكتب الفيلسوفات واللاهوتيات النسويات عن الدين، فإنهنّ في الغالب لسنّ مهتمّات بالسؤال

الأنطولوجي/الوجودي حول ما إذا كان الإله أو الآلهة، أو الإلهة أو الإلهات موجودون [بالفعل]، وحول ما هي الحجج التي تدعم وجودهم. وفي هذا الصدد لم تكن الفيلسوفات النسويات مهتمات بالإثبات العقلاني لعدم وجود الإله، أو الآلهة، أو الإلهة أو الإلهات، أو في دعم الإلحاد على أرضية عقلانيّة».(١٩) وإنما كان التركيز النسويّ في دراسة الأديان عبر الجندر منصبًّا على الواقع الثقافي والرمزي والذي يقوم بتوزيع الأدوار الاجتماعية على الجنسين، ومظاهر عدم المساواة فيه.

إذا جمعنا الملاحظات التي وصلنا إليها أعلاه، أنّ مشروع الجندر ينطوي على نظرية اجتماعية ورؤية للكون ذات موقف أخلاقي رافض لتوزيع الأدوار بين الجنسين عبر الاعتقاد بوجود اختلافات طبيعية

(18) "Religion", Pamela Dickey Young, p509, in: "A Companion to Gender Studies", edited by: Philomena Essed, David Theo Goldberg, and Audrey Kobayashi.

(19) "Feminism and Athiesm", Christine Overall, p233, in "The Cambridge Companion to Athiesm", edited by: Michael Martin.

بين الجنسين، مع ملاحظة أنّ الإسلام -وأكثر الأديان- تقوم فلسفة التشريع فيها على أساس وجود اختلاف طبيعي بين الجنسين، يترتب عليه توزيع للأدوار، مع حقيقة أنّ النظر النسويّ للأديان لا يمر إلا عبر عدسة الجندر ولا يتعامل مع النبوة وأدلتها = سيبدو التناقض بين الموقفين واضحًا، ومن الصعب أن يكون هنالك مفرّ بأن يُوصَم الدين بأنه ذكوريّ ومتحيز ضد المرأة.

فمشروع الجندر من الصعب عدم النظر إليه بوصفه ليس مجرد نظرية اجتماعية، بل هو يعمل كرؤية وجودية وكنقطة انطلاق عقدية لتقييم كل شيء أخلاقيًّا، فكما تؤكد كريستين أوفرول: «ما هي الخصائص التي تجعل مثل هذه الحجج المقدمة [لصالح الإلحاد] نسوية؟ أقترح وجود أربعة خصائص: أولًا، استعمال مفهوم الجنس و/أو الجندر كمقولة تحليلية لتأويل وتقييم الادعاءات الدينية. ثانيًا: الوعي بالتجارب المختلفة للنساء. ثالثًا: معرفة قهر النساء بواسطة النساء، القهر الذي يمكنه اتخاذ أشكال مختلفة عديدة ... ورابعًا، الأمل في، والهدف الأخلاقي، لإنهاء كل جوانب القهر المبني على الجنس/الجندر..»(٢٠) وكما تذكر أيضًا أميمة أبو بكر -إحدى رواد اتجاه «النسوية الإسلامية»- والتي عملت على مقاربة الدين مقاربة جندرية في الكتاب الذي قامت بتحريره «النسوية والدراسات الدينية»: «ركزت هذه الدراسات إذًا على كيفية إعادة تفسير الظواهر الدينية واستنباط المعايير ووصفها من خلال «عدسة تحليلية» تأخذ مسألة النوع (الجندر) في الاعتبار».

فبدءًا من فكرة الإله نفسه، سنجد أنه تم التعامل معها عبر مفهوم الجندر، فمثلًا تقول ماري دالي Mary Daly: «إذا كان الإله ذكرًا، فإن الذكر هو الإله»(٢١) مشيرةً إلى أنّ الإله في الأديان التوحيدية تم النظر إليه بوصفه ذكرًا وتمت إضافة صفات الذكور إليه كالقوة والعزة والجلال، ومعتبرة أنّ هذا التوصيف للإله كان الهدف من ورائه تمكين الرجال ووضعهم في مرتبة وجودية أعلى من النساء باعتبارهم الأشبه بالإله، ونفس الاعتراض تثيره العديد من المجموعات الإلحادية العربية «وهذه الأمور تدل على تحيز الإسلام ضد المرأة واحتقاره لها إلى درجة أنه جعل الإله الذي خلق كلا الجنسين رجلًا».(٢٢)(٢٣)

انتقالًا إلى لغة الخطاب الشرعيّ، والذي تم النظر إليه بوصفه خطابًا ذكوريًّا يخاطب الرجال فقط ويغضّ الطرف عن النساء، فهو يناد {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا..} وكأنّ الدين مقصورٌ على الرجال، وأنّ عليهم الوصاية على من لم ينادهم الخطاب من النساء. (٢٤) انتهاءً بالتشريعات الدينية كالقوامة والحجاب والميراث والإجهاض وغيرها من القضايا التي يتم إثارتها بصورة متكررة هذه الأيام.

فعبر استعمال عدسة الجندر والتي تفهم كل مسألة بناءً على فكرة المساواة، والتي تتناقض بصورة جذرية مع الرؤية الكونية في الدين والتي تؤكد على العبودية والتسليم لله سبحانه وتعالى وحكمته وعدله وأفضلية شرعه على كل أنظمة الأفكار والتشريع البشرية = سيكون الدين بلا شك ذكوريًّا، وهو ما يساوي غير أخلاقيّ وظالم للمرأة.

ويتجلّى هذا الموقف في الكثير جدًّا من كتابات النسويات من مختلف الموجات النسوية، فنجد الأم الروحية لمفهوم الجندر سيمون دي بوفوار تؤكد: «يتمتَّعُ الرجل بالمميّزات العظيمة وذلك لأنه يملك إلهًا يؤيّد الشفرة التي يكتبها؛ وبما أنّ الرجل يمارس السلطة السيادية على المرأة، فمن حُسن الحظ أنّ هذه السلطة قد مُنِحت إليه من قِبَل الكائن الأعلى. عند اليهود والمحمديين والمسيحيين وغيرهم، إنّ الرجل هو سيد الحق الإلهي. لذلك

(20) "Feminism and Athiesm", Christine Overall, p234, in "The Cambridge Companion to Athiesm", edited by: Michael Martin

(21) "Beyond God and Father: Toward a Philosophy of Women's Liberation", Mary Daly, p19, (Boston: Beacon Press).

(٢٢) «هل الله ذكر»، مجلة أنا أفكر (١٩\١٠).

(٢٣) تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا. وهذا التحليل لا يعدو عن كونه سوء قبيح للفهم وليّ لعنق الواقع ليصبح قابلًا لأن يتم تحليله بالنظرية، ففي التراث الإسلامي كما يذكر الدكتور سلطان العميري: «لا يصحّ أن يوصَف [الله عز وجل] بوصف الذكورة ولا الأنوثة؛ لكون هذه الصفات من خصائص المخلوقات، والله تعالى منزهٌ عنها..» (ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، د. سلطان بن عبد الرحمن العميري، المجلد الثاني، ص٥٣٨.) إضافة لأنّ الصفات التي وصف الله عز وجلّ بها نفسه تتضمن الرحمة والود بل والحياء، وهي صفات تُنسَب تقليديًّا للمرأة. سبحانه «لَيسَ كَمِثلِهِ شيءٌ وهو السَّمِيعُ البَصِير».

(٢٤) يمكن الرجوع في نقد هذا الادعاء إلى:

ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، د. سلطان بن عبد الرحمن العميري، المجلد الثاني، ص٥٣٨.

فإن مخافة الله ستقمع أي دافع نحو التمرد عند الأنثى المضطهدة».(٢٥) وكما تقول النسوية البارزة من الموجة الثانية غلوريا ستاينم: «إنْ فكرتَ مليًّا فستدرك أنّ إيمانك بشيء ما مقابل حياة ما بعد الموت؛ لهو احتيالٌ مذهلٌ، فحتّى الشركات بكل ما تملك من نُظُم المكافآت؛ لا تحاول أن تجعلها بعد الوفاة».(٢٦) كما تقول سوزان شو أستاذة [دراسات] المرأة والجندر والجنسانية: «في ضوء المؤسسات الدينية التقليديّة مثل الكنيسة والمسجد والمعبد؛ فإن النظام الذكوري البطريركي هو الدّين السائد في العالم».(٢٧)(٢٨)

في مقابل هذه الحقيقة التي تكاد تجمع عليها كل النسويات المتبنيات لمفهوم الجندر، فقد كانت هنالك ثلاثة مسارات حاضرة في دراسات الدين من منظور جندري اتبعتها النسويات ورأوها كحل ممكن:

١- ترك الأديان ومحاربتها وإعلان الإلحاد والبقاء على حال اللادينية:

وهو الموقف الأكثر شيوعًا في الأوساط النسوية.

٢- العمل على إعادة بناء الأديان وصورة الإله فيها:

وهذا الاتجاه قد بدأ في الغرب منذ الستينات من القرن العشرين، وتتوّج بنشأة ما يُعرَف بـ «اللاهوت النسويّ» وهو تيار يعمل على إعادة بناء المسيحية من منطلق جندري. «وتمضي روزماري رادفورد روثر [إحدى أهم رائدات ومؤسسات هذا الاتجاه] في شرح تفصيلي لأهداف هذا التيار ومقوماته؛ تهدف باحثات العلوم الدينية النسويات إلى ترشيد وإعادة بناء الرموز الدينية الأساسية عن الله/الخالق وقصة الخلق، والبشرية بنوعيها الذكر والأنثى، والخطيئة، والخلاص والكنيسة...إلخ من أجل إعادة تعريفها من جديد تعريفًا يأخذ في الاعتبار الجنسين وضمهما معًا في منظومة مساوية».(٢٩) وتؤكد كريستين أوفرول أنّ: «العديد من الفلاسفة واللاهوتيين التقدميين -والذين بالنسبة إليهم قضية الإنسانية المتساوية للمرأة [مع الرجل] هي قضية غير قابلة للنزاع- قد تفاعلوا مع النقد النسويّ القويّ للأدوار القهرية للدين مع [فكرة] الإله البطريركي، عبر محاولة إعادة بناء [صورة] الإله».(٣٠)

٣- تأسيس أديان نسوية خاصة:

وفيه النسويات اللواتي انطوين ضمن حالة «الوثنية الجديدة Neo-paganism» وحالة الروحانية خارج الأديان التقليدية والتي تعمل على خلق أديان وآلهة نسوية -إلهة أنثى في الغالب-، فكما تذكر باميلا يونغ: «بعض أشكال الوثنية الجديدة neo-paganism في الغرب قد حاولت موازنة الآلهة والإلهات في الهياكل الأسطورية والشعائرية الخاصة بها. والبعض يتّكلون فقط على تراث وصور الإلهات. وهذا الموقف الأخير في الغالب يقوم على فرضية أن الناس -خاصة النساء- يحتاجون الإلهة لمقاومة تأثير الرؤى الدينية التقليدية البطرياركية».(٣١)

ومع وضع ملاحظة أنّ النسوية نشأت بعد تجاوز الأسئلة المرتبطة بصحة الأديان بعين الاعتبار، يمكن ملاحظة أنّ إحدى الفرضيات التي تشترك فيها مختلف أنماط توظيف مفهوم الجندر في الدراسات الدينية هي فرضية أن الأديان منتجات تاريخية وثقافية.

---

(25) Beauvoir, Simone de, and H. M. Parshley. The Second Sex. South Yarra, Vic., Louis Braille Productions, 1989.

(26) "Gloria Steinem." Freedom From Religion Foundation, ffrf.org/news/day/dayitems/item/14362-gloria-steinem. Accessed 12 Sept. 2017.

(27) Shaw, Susan M. "Is Patriarchy the Religion of the Planet?" The Huffington Post, TheHuffingtonPost.com, 1 Oct. 2015, www.huffingtonpost.com/susan-m-shaw/is-patriarchy-the-religio_b_8228710.html. Accessed 12 Sept. 2017.

(٢٨) نقلًا عن: «التداعيات الخطرة للنسوية الإسلامية»، دانيال حقيقت جو، ترجمة: فرح علي، تحرير: أسامة خالد العمرات. موقع أثارة من علم.

https://atharah.com/the-grave-implications-of-feminist-islam

(٢٩) «النسوية والدراسات الدينية»، تحرير: د. أميمة أبو بكر، ص١٣، ترجمة: د. رندة أبو بكر، سلسلة ترجمات نسوية، مؤسسة المرأة والذاكرة ٢٠١٢م.

(30) "Feminism and Athiesm", Christine Overall, p237, in "The Cambridge Companion to Athiesm", edited by: Michael Martin.

(31) "Religion", Pamela Dickey Young, p512, in: "A Companion to Gender Studies", edited by: Philomena Essed, David Theo Goldberg, and Audrey Kobayashi.

«إن الرمـوز الدينيـة قـد تـم بناؤهـا اجتماعيًّـا وهـي تعكـس القيـم الثقافيـة للأوقـات والأماكـن التـي بُنِيَت فيهـا.»(٣٢) وكمـا تشـير كريسـتين أوفـرول: «تاريخيًّـا تـم إقصـاء النسـاء مـن التعليـم -مـا يتضمـن التعليـم الدينـي واللاهوتـي-؛ ولذلـك فإنهـنّ لـم يكـنّ متضمَّنـات فـي تشـكيل الأديـان وعقائدهـا».(٣٣)

فـإن فـي الغالـب مـا تعنيـه النسـويات بالأديـان لا يتضمـن بالضـرورة فكـرة النبـوة أو الاعتقـاد الحقيقـي بوجـود إلـه خالـق للكـون، ولكنـه بشـكل أكبـر يحيـل إلـى الجانـب الروحانـي مـن الوجـود البشـري المتضمـن داخـل تجـارب الأفـراد، وبذلـك يكـون الحديـث عـن «إعـادة بنـاء الأديـان» أو «تأسـيس أديـان خاصـة» متعارضًـا بشـكل كامـل مـع المعنـى المعـروف للأديان والنبـوة.

وهـي إحـدى المآزق التـي تقـع فيهـا حالـة «النسـوية الإسـلامية» حيـن تحـاول تطبيـق مفهـوم الجنـدر فـي فهـم الديـن، ليصبـح كل حديـث أو آيـة يتعـارض مـع المسـاواة المطلقـة، أو ينسـب صفـة معينـة للنسـاء فـي مقابـل الرجـال أو العكـس = متشـكلًا تاريخيًّـا أو وافـدًا مـن الأديـان السـابقة للإسـلام، وهـو مـا يعنـي فـي أسـوأ الأحـوال أن الديـن تشـكل تاريخيًّـا، وفـي أفضـل الأحـوال أنـه تشـوَّهَ وتـم تحريفـه مـذ لحظتـه الأولـى، فإمـا التعامـل مـع الديـن بوصفـه وحيًـا إلهيًّـا لا يأتيـه الباطـل مـن بيـن يديـه ولا من خلفـه، وعليـهِ تجاوز فكـرة المسـاواة المطلقـة المتجـذرة فـي مفهـوم الجنـدر، أو الاتسـاق فـي اسـتعمال مفهـوم الجنـدر والإقـرار بـأن التأكيـد تشـكل تاريخـيّ لا يَصـدُق عليـه مفهـوم الوحـي الإلهـي النـازل مـن الخالـق الحكيـم عـزّ وجـلّ، إضافـة للتركيـز الشـديد علـى قضيـة التجربـة الدينيـة الشـخصية للمـرأة كأسـاس لبنـاء المسـاواة فـي تأويـل الآيـات والأحاديـث، أي تجـاوز النقـاش والمناهـج الموضوعيـة للعلـوم الشـرعية واسـتبدالها بحالـة سـائلة نسـبية مـن التجـارب البشـرية كأسـاس لفهـم القـرآن والسـنة، وهـو مـا سـيوقعهم فـي إشـكالات كثيـرة فـي التعامـل مـع النبـوة والوحـي كحقائـق موضوعيـة نزلـت مـن الله عـز وجـل للبشـر.

والله المستعان.

(32) "Religion", Pamela Dickey Young, p511, in: "A Companion to Gender Studies", edited by: Philomena Essed, David Theo Goldberg, and Audrey Kobayashi.

(33) "Feminism and Athiesm", Christine Overall, p235, in "The Cambridge Companion to Athiesm", edited by: Michael Martin.

التفرد بين الجنسين في الإسلام وأهمية الآباء

أ. محمد الشناوي وَ د. طاهر خواجة

ترجمة: أ. محمود مصطفى الحكيم -كاتب ومترجم

لينكد إن: mahmoud-mostafa-elhakem

https://www.linkedin.com/mwlite/in/mah-moud-mostafa-elhakem

مقدمة

كانت مطالبة القرآن والسنة في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- الرجال بأن يعترفوا أن النساء يساوونهم في الكرامة الإنسانية(١)، والحُرمة(٢)، والحق في النجاة(٣)، والسعي لرضا الله(٤)، وأن لهن فرص القيام بمساهمات مجتمعية ثورية. وقد شهد رفيقه الأكثر تأثيرًا، عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه: «في الجاهلية (عصر ما قبل الإسلام)، ما كنا نعد للنساء أمرًا. ولكن عندما جاء الإسلام، وذكرهم الله؛ جعلنا هذا ندرك أن لهن حقوقًا علينا... »(٦). هذه النقلة النوعية التي شهدها عمر والمسلمون الأوائل انتشرت في نهاية المطاف في جميع أنحاء العالم، رغم أن العديد من المجتمعات خارج نطاق الحضارة الإسلامية استغرق هذا التحول فيها أكثر من ألف عام. ومع ذلك، يبدو من الصعب أحيانًا في هذه الأيام التوفيق بين مفهوم حقوق المرأة والصفات المميزة لكل جنس(٧). وقد شكل الافتراض واسع الانتشار بأن الرجال والنساء متطابقون بشكل تام مع عدم وجود فوارق تتبع هذا الاختلاف بينهما عائقًا رئيسيًا أمام تحقيق المساواة بين الجنسين في عصرنا. هذه الورقة تقيم هذا الافتراض وبعض تداعيته الخطيرة لا على النساء فقط، ولكن أيضًا على علاقة الأب بالطفل.

(١) (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ). الحجرات [١٣].

(وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَـٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلۡنَـٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا). الإسراء [٧٠].

(٢) (وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ). التكوير [٨-٩].

(وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَـٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَـٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَـٰسِقُونَ). النور [٤].

(٣) (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّـٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ). التوبة [٧٢].

(يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَـٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّـٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ). الحديد [١٢].

(لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا). الفتح [٥].

(٤) (وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا). النساء [١٢٤].

(مَنۡ عَمِلَ صَـٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ). النحل [٩٧].

(مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَـٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ). غافر [٤٠].

(٥) (وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ). التوبة [٧١].

(٦) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب الغرفة والعلية، رقم ٥٠٥٥.

(7) Bruce Goldman, "Two Minds: The Cognitive Differences between Men and Women," Stanford Medicine, Spring,2017, https://stanmed.stanford.edu/2017spring/how-mens-and-womens-brains-are-different.html

العدد العاشر - تصدر عن مركز دلائل ٥١

الفروق بين الجنسين

قد تكون فكرة الفروق بين الجنسين بغيضة بالنسبة للبعض هذه الأيام، ولكن الإسلام يطالب بأن نعترف بها كواقع هام. يقول الله -تعالى-: (وليس الذكر كالأنثى). (النساء). [٣٦]. إن رفض الاعتراف بالاختلافات التي خلقها الله في الكون، بما فيها الاختلافات بين الجنسين لا يتعارض فقط مع الحقائق المقدسة البينة، بل يضرب أيضًا أساس الأسرة والمجتمع.

أي مناقشة للفروق بين الجنسين في الإسلام ينبغي أن تسبقها كلمات النبي -صلى الله عليه وسلم-: (النساء شقائق الرجال)(٨). يبين الخطابي -رحمه الله- (٩٩٨) أن من بين المعاني المقصودة هنا هو أن أي حكم شرعي في الإسلام ينطبق تلقائيًا على الذكور والإناث ما لم يوجد دليل نصي يثبت اختلافًا. (٩)

بعض هذه الاختلافات تتعلق بالشعائر مثل أن النساء يعفين من الصلاة والصيام أثناء الحيض والنفاس. وبعضها الآخر يتعلق بالمجال الاجتماعي؛ مثل التعامل بين الرجال والنساء في المجتمع.

يتفق العديد من المسلمين وغير المسلمين -صراحةً أو ضمنًا- على أن هناك اختلافات جوهرية بين الذكور والإناث، رغم أنهم قد يختلفون في الرأي ويتعرضون لقلق حاد حول موضع هذه الاختلافات، وما قد تعنيه، وكيف تقام العدالة في ضوئها. بالنسبة للمسلمين الذين تعتبر مرجعيتهم العليا خالق الذكور والإناث (لا ذاتية الإنسانية العلمانية)، وهو العادل الذي كلف البشر باحترام العدالة، يكون من المتوقع أن بعض الحقائق الأولية عن الوجود، وعن طبيعتنا الإنسانية، وحقوق ومسؤوليات كل منا تحدد بوضوح تمامًا كما هي في القرآن والسنة الصحيحة.

ربما يكون التحدي الأكبر الذي يواجه الاعتراف بالفوارق بين الجنسين اليوم هو ميل المجتمعات الحديثة إلى قياس قيمة النساء اليوم بمقارنتهن بالرجال، بدلًا من مقارنتهن بأفضل النسخ الممكنة من أنفسهن. (أقصى إمكاناتهن). الآثار الاجتماعية والنفسية والعاطفية السلبية لهذه المقارنة المضللة مروعة. تشجيع النساء على تقدير قيمتهن الذاتية بمقارنتها بالرجال ضرر جسيم بالمرأة والمجتمع؛ لأنه يستند إلى الاعتقاد بأن عمل الرجال أكثر قيمة من عمل النساء. وما فعله هذا التفكير في الواقع أن جعل الذكر المثل الأعلى الذي ينبغي أن يتطلع إليه كلًا من الرجال والنساء. المرأة التي تطمح إلى أن تكون مثل الرجل -كمثلها الأعلى- لا تؤدي إلى تآكل مواطن قوتها الأنثوية فحسب، بل يجعلها هذا في مفارقة مأساوية تطارد الأهداف التي وضعت من قبل الرجال ولأجلهم. وسواء أكانت المرأة تطمح إلى أن تكون من جنود المشاة البحرية الأمريكية(١٠)، أو أي شيء آخر تسعى من خلاله لإنكار الفروق بين الجنسين فهذه المطامح تنطوي على العيش في ظل شخص آخر.

يقدم الإسلام للمرأة حرية أكثر معقولية من خلال الإصرار على أن للمرأة قيمة بطبيعتها وأنها تقدم مساهمات أنثوية بدونها لا يمكن لمجتمع صحي أن يزدهر. عندما كان العرب معتادون على دفن بناتهم الرضع أحياء معتبرين إياهم مسؤولية مخزية (مقارنة

---

(٨) مسند أحمد، رقم ٥٨٩٦. سنن الترمذي رقم ١٠٥. سنن أبي داود رقم ٢٠٤. صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف، ١٩٩٦. ٦:٦٨٠. رقم ٢٨٦٢.

(٩) الخطابي، معالم السنن، المجلد الأول، حلب، المطبعة الحلمية، ١٩٣٢، ٧٩.

(10) Ryan Browne, "Female Marine Drops Out of Infantry Course," CNN News, August 16, 2016, https://edition.cnn.com/2016/08/15/politics/female-marine-infantry-course/.

بالفتيان الذين بإمكانهم القتال والكسب)، لم يدافع النبي -صلى الله عليه وسلم- عن قضية المرأة بإقرار المقياس الخاطئ الذي استخدمه المجتمع في ذلك الوقت. لم ير بأن النساء ينبغي تكريمهن لأنهن كن أقوياء جسديًا في المعركة مثل الرجال، أو لأن بإمكانهن تحقيق نفس القدر من الفوائد الاقتصادية للقبيلة مثل الرجال. وبدلًا من ذلك، أصر على أن يقدرن بسبب طبيعتهن المختلفة. وذكرنا -صلى الله عليه وسلم- بالعطف على أمهاتنا ثلاث مرات قبل الآباء. ويسلط القرآن الضوء على أن الاحتفاء بالأمهات يبرره فضائل الأعمال التي يلتزمن بها تجاه أبنائهن من حمل، وولادة، ورضاع، وفطام.(١١)

وعلمنا-صلى الله عليه وسلم- أن تربية ابنتين بحرص من شأنه جعل الشخص قريبًا من أفضل أنبياء الله في الجنة(١٢). وأن قيمة الرجل عند الله ترتبط ارتباطًا وثيقًا بكيفية معاملته لزوجته وراء الأبواب المغلقة(١٣)، وكيف يحمي عائلته بتفان من المخاطر(١٤).

للأسف، العديد من مناقشات حقوق المرأة في العصر الحديث تردد نفس العقلية المادية البالية التي جاء الإسلام لعلاجها. في هذه النظرة العالمية السعي وراء مهنة مربحة ماليًا الطموح الوحيد الجدير بالاهتمام، في حين أن اختيارات مثل التخصص في الأمومة أو التدبير المنزلي يُقلل منها. ولهذا السبب نجد أن الحياة المكرسة للأمومة وأعمالها البطولية أصبح ينظر إليها من قبل الكثيرين على أنها هدر ذريع؛ لأنها لا تؤدي إلى النمو الاقتصادي.

وقد وصفت Mayo Clinic إثقال النساء بالعبء والتقليل المستمر منهن، في مقالة صدرت مؤخرًا بعنوان (الاكتئاب عند النساء: فهم الفجوة بين الجنسين). والتي تذكر، أن: (إصابة النساء بالاكتئاب حوالي ضعف عدد إصابة الرجال. وأن هناك عدة عوامل قد تزيد من احتمالية إصابة النساء بالاكتئاب.. فغالبًا ما تعمل النساء خارج المنزل ومع هذا يتحملن مسؤوليات المنزل أيضًا. وتتصدى العديد من النساء لتحديات إعالة الأسرة منفردات؛ مثل العمل بوظائف متعددة لتغطية النفقات. أيضًا، قد تقوم النساء برعاية أطفالهن بينما يقمن أيضًا برعاية المرضى أو كبار السن من أفراد الأسرة)(١٥). وتقترح المقالة أيضًا أن التغيرات الهرمونية في مختلف مراحل حياة المرأة (الحمل، والنفاس، وانقطاع الطمث، وما إلى ذلك..) المصحوبة بمثل هذه الضغوطات، قد تساهم في ارتفاع معدلات الإصابة بالاكتئاب في النساء أكثر من الرجال.

ومن المؤكد أن قيمة المرأة لا ترتبط بالحمل والأمومة. العديد من النساء التقيات لم يلدن أطفالًا، ومنهن السيدة عائشة -رضي الله عنها-، والتي على صدرها لفظ حبيبنا النبي -صلى الله عليه وسلم- أنفاسه الأخيرة، ولإسهاماتها الفكرية الهائلة سيظل المسلمون مدينون لها. كما لا يقلل من قيمتها عدم قدرتها على جذب أفضل الخاطبين لها، لئلا نستهين ببعض ممن هن أكثرهن تقوى عبر التاريخ ممن لم

---

(١١) (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ). لقمان [٤١].
(وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ). الأحقاف. [٥١].

(١٢) روى أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من عالَ جاريتينِ دخلتُ أنا وَهوَ الجنَّةَ كَهاتينِ وأشارَ بأصبُعَيْهِ). صحيح مسلم، رقم [2631].

(١٣) روت السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، أنه قال: (خيرُكم) عند الله (خيرُكم لأهلِه) أزواجه (وأنا خيرُكم لأهلي). سنن الترمذي، رقم [٣٨٩٥]. صححه الألباني.

(١٤) تم اقتباس هذا المقطع من تعليق على وسائل التواصل الاجتماعي وجدته مثيرًا للفضول، لذلك قمت بحفظه على عجل بدون التحقق من صاحبه لمنحه الفضل المستحق هنا. أسأل الله أن يسعد صاحبه بإيجاد هذا المقطع في ميزان حسناته.

(15) Mayo Clinic, "Depression in Women: Understanding the Gender Gap," Mayo Clinic, January 29, 2019, https://www.mayoclinic.org/diseases-conditions/depression/in-depth/depression/art-20047725.

يتزوجـن قـط، أو أولئـك اللاتـي تزوجـن مـن مفسـدين؛ مثـل آسـية -رضـي الله عنهـا زوجـة فرعـون. لكـن، علـى نحـو مشـابه جعـل الغـرض النهائـي للإنسـان أي أهـداف ماديـة، شـيء خلـق النـاس جميعًـا -رجـالًا ونسـاءً- لتجـاوزه. (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ). الذاريـات. [٥٦].

إن سـيل الرسـائل التـي تتـردد فـي مجتمـع مـادي لا يجعـل فقـط بعـض النسـاء يسـتخففن بالأمومـة، لكـن يجعـل أيضًـا بعـض الرجـال يشـعروا بانخفـاض القيمـة عندمـا يشـعرون بـأن كل مـا يقومـون بـه هـو إعالـة أسـرهم (فقـط)، مـن خـلال أي وظيفـة يمكنهـم الحصـول عليهـا. ومثلمـا يجـد النسـاء أنفسـهن غيـر راضيات عندما يقارن أنفسهن بالرجال من حيث العمل خـارج المنـزل والقـدرة علـى الكسـب، يشـعر العديـد مـن الرجـال بالغضـب عندمـا ينافسـون بعضهـم البعـض فـي سـباق الفئـران مـن أجـل الحصـول علـى وظائـف ذات راتـب أعلـى ومناصـب أكثـر بريقًـا. يوضـح هـذا المـأزق جانبًـا آخـر للحريـة فـي الإسـلام، وهـو أنـه: لا ينبغـي أبـدًا قبـول الثـروة الماديـة كعامـل حاسـم للقيمـة فـي مجتمـع عـادل. كل البشـر لهـم قيمـة ومكرمـون بحكـم إنسـانيتهم، ثـم يتمايـزون أكثـر فـي ضـوء إخلاصهـم للّه، وكيـف يتصـرف كل منهـم بإمكانياتـه الفريـدة التـي وهبهـا اللّه لـه.

تجربة عدم وجود أب

نشـهد هـذه الأيـام مأسـاة غيـاب للآبـاء تتبـدى فصولهـا أمـام أعيننـا ينظـر فيهـا البعـض للآبـاء علـى أنهـم مجـرد مسـاهمين بيولوجييـن يهجـرون أطفالهـم، أو فـي أفضـل الأحـوال ممولين غيـر مشـاركين. وفقًـا لدراسـة أجراهـا مركـز بيـو للأبحـاث حـول العائلـة الأمريكيـة اليـوم، تعانـي العائلـة التـي يتواجـد فيهـا كلا الأبويـن مـن تناقـص سـريع فـي الولايـات المتحـدة، ويشـكل الأطفـال المولوديـن خـارج نطـاق الزوجيـة ثلـث المواليـد منـذ عـام ٢٠٠٠.

هـذا التحـول الجـذري مـن نمـوذج الأسـرة التقليـدي ليـس إعـادة ترتيـب غيـر مؤذيـة: فالأطفـال بـلا آبـاء معرضـون بشـكل كبيـر لخطـر تعاطـي المخـدرات، والكحـول، والأمـراض العقليـة، والانتحـار، والأداء التعليمـي الضعيـف، والحمـل فـي سـن المراهقـة، والانخـراط فـي أنشـطة إجراميـة. نسـبة مهولـة تبلـغ ٨٠٪ مـن المراهقيـن فـي المصحـات النفسـية ينحـدرون

من أسر لا أب فيها(١٦)، وتتضاعف احتمالية تعرض الأطفال للاعتداء الجنسي (خاصة الفتيات) في منازل خالية من الأب البيولوجي(١٧). وفيما يتعلق بعنف الشباب (ترتبط نسبة الأسر ذات الوالد الواحد والتي فيها أطفال تتراوح أعمارهم بين ١٢-٢٠ عامًا ارتباطًا كبيرًا بمعدلات جرائم العنف والسطو) (١٨).

ووفقًا لتقرير خاص أصدرته وزارة العدل الأمريكية في عام ١٩٨٨، فإن ٧٠٪ من الأحداث في المؤسسات التي تديرها الدولة كان آباؤهم غائبين(١٩). ويبين البحث الذي أجري في جامعة هارفارد كيف أن بعض هذه الأزمات في النمو قل أثرها -بشكل جزئي لا كلي- في العائلات الأمريكية الأفريقية؛ لأن شخصيات ذكورية أخرى من العائلة الكبيرة ستظل مشاركة في كثير من الأحيان، خاصةً عندما تمحى شخصية الأب من الصورة لأسباب مختلفة. ويحدث هذا بشكل أقل في الأسر القوقازية ويرتبط بنتائج أسوأ لهؤلاء الأطفال الذين لا أب لهم(٢٠).

ومع ذلك، وفقًا لأطروحة الدكتوراه لجنيفر شوارتز، فحتى وجود أسرة متعددة الأجيال، أو رأس مال ذكوري أعلى (عدد أكبر من الذكور) في المجتمع، لا يزال لا يخفف من آثار غياب الأبوة.

(تستمر الآثار الضارة لغياب الأب على العنف بالنسبة للإناث والذكور، حتى بعد مراقبة مؤشرات الحرمان الهيكلي وآليات الرقابة الاجتماعية. وعلى الرغم من أن رأس المال الذكوري والرعاية الجماعية يمكن أن يعوضا بعض أوجه القصور المجتمعية المرتبطة بانتشار غياب الأب، فإن غياب الأب لا يزال يسبب آثارًا هائلة ومدمرة على معدلات العنف المصنفة حسب نوع الجنس)(٢١).

وعلى نحوٍ مشابه، ورد في المجلة الأوروبية للسكان في عام ٢٠٠٧ أن وجود الأجداد في بيت متعدد الأجيال لم يخفف بالكامل من العلاقة السلبية بين انعدام الأبوة والأداء الأكاديمي، وخاصةً في الرياضيات(٢٢).

ورغم أن هذه الإحصائيات قد يكون إلى حد كبير مصدرها عائلات الآباء فيها متزوجون لكن غائبون (بطريقة أو بأخرى)، أو مطلقون، أو لم يسبق لهم الزواج، أو أنواع أخرى من العلاقات خارج إطار الزواج، فلا ينبغي أن نقلل من شأن التأثيرات الضارة الناتجة عن تناقص دور الآباء في المجتمع. يذكر وباء غياب الآباء الحالي المسلمين بما ينبغي أن يكونوا على معرفة به بالفعل؛ وذلك لأن خالقنا كثيرًا ما يلفت انتباهنا إلى التفاعل الديناميكي بين الأضداد في عالمه: (وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ). سورة الليل. [١-٤].

إن وجود الأشياء التي يكمل بعضها بعضًا كالليل والنهار، الذكر والأنثى، حتى الخير والشر، يجعل منها كلها مكونات ضرورية للتوازن في الكون. وبتوسيع نطاق هذا ليشمل الأبوة والأمومة، فكما لا يستطيع الآباء أبدًا أن يقدموا لأطفالهم كل ما يمكن للأمهات أن يقدموه، فالأمهات لا يستطعن أبدًا أن يقدمن لأطفالهن كل ما بإمكان الآباء تقديمه.

(16) Jack Block, Jeanne H. Block, and Per F. Gjerde, "Parental Functioning and the Home Environment in Families of Divorce," Journal of the American Academy of Child and Adolescent Psychiatry 27, no. 2 (1988): 207-13.

(17) Beverly Gomes-Schwartz, Jonathan Horowitz, and Albert P. Cardarelli, Child Sexual Abuse Victims and Their Treatment (Washington, DC: U.S. Department of Justice, Office of Juvenile Justice and Delinquency Prevention,1988).

(18) Bryan J. Grapes, ed., Violent Children (San Diego, CA: Greenhaven Press, 2000), http://www.demes.teimes.gr/spoudastirio/E-NOTES/V/Violent_Children_Viewpoints.pdf.

(19) Steve Blake, memo to the members of the Legislative Study Committee on Child Placement and Support, September24,2018

https://docs.legis.wisconsin.gov/misc/lc/study/2018/1785/020_september_25_2018_meeting_10_00_a_m_room_412_east_state_capitol/sept25blake_dadsofwi.

(20) Christine Cross, "The Myth of the Two-Parent Home," New York Times, December 9, 2019, https://www.nytimes.com/2019/12/09/opinion/two-parent-family.html?fbclid=IwAR3aWlfH-VOJ_RpT2a4k3CLKzBvbaXOXkujkVr5pltXmQglmGlaZ9eazQJs#click=https://t.co/oPJQGTCrsB.

(21) Jennifer Schwartz, "The Effect of Father Absence and Father Alternatives on Female and Male Rates of Violence" (PhD diss., Pennsylvania State University, August 2003), https://www.ncjrs.gov/pdffiles1/nij/grants/206316.pdf.

(22) Jonas Radl, Leire Salazar, and Héctor Cebolla-Boado, "Does Living in a Fatherless Household Compromise Educational Success? A Comparative Study of Cognitive and Non-Cognitive Skills," European Journal of Population 33, no. 2 (May 2017): 217-42, https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC5400797/.

ضرورة الوحي الإلهي

قد تواجه مثل هذه الحقائق الأساسية اليوم تحديات من جانب الفكر العلماني الحديث، حيث يقبل الكثيرون «العقل المتفتح» (الأوبن مايند) و«العقل البشري الموضوعي» باعتبارهما السلطات العليا. إن تبني العقل الموضوعي ليس خطأً طالما يعترف بمحدوديته وتحيزاته(٢٣).

تأمل النقاش حول النوع الاجتماعي على سبيل المثال؛ الحيادية شبه مستحيلة لأن الأطراف المتنازعة هم القضاة. هل هي صدفة أن النساء نادرًا ما يصرخن بوجود الظلم عندما يسمعن حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن (البر بالأم ثلاث مرات)؟ هل هي صدفة أن الرجال نادرًا ما يصرخوا بوجود الظلم عند سماع (آيات القوامة)؟ عندما ينشأ رد فعل سلبي على هذه النصوص، فإنه عادةً ما يكون من الجهة المقابلة، التي يولد تحيزها تصور خاطئ عن الظلم في هذا النص المقدس الذي لا تشوبه شائبة. حتى بين أولئك الذين يحاولون الفرار بنبل من تحيزاتهم، يتعثر البعض في التحيز المعاكس. يمكن أن يؤدي التركيز المفرط على التحيز الفطري إلى الجهة المعاكسة تمامًا.

وتأمل كيف أن بعض النساء للإفلات من تحيزهن الافتراضي المؤيد للمرأة، فإنهن يستنكرن بعض التظلمات النسوية المشروعة للغاية، أو محاولات بعض الرجال الهرب من التحيز ضد المرأة فيسممون بعض المُثل الذكورية النبيلة. وكما يقول المثل الشهير: (عندما سقط الفأس في الغابة، صرخت الأشجار لكن المقبض مِنَّا). وفي الحقيقة، فإن الله وحده هو القادر على التقييم العادل، بكل حكمة وحياد؛ لأنه هو الذي يتفوق على التحيز والبقع العمياء للفكر البشري. (سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ).

التكيف الثقافي يعمل على تحييزنا أيضًا. لم تتبلور مشاعرنا ومعاييرنا التقييمية في الفراغ. لنأخذ تصورنا المعاصر للأبوة على سبيل المثال؛ لم يتم بناؤه بشكل مستقل عن الآباء المغفلين الذين نشأنا ونحن نشاهدهم. هومر سمبسون هو مهرج معتمد. شخصية الأب في Family Guy منحطة. في Everybody Loves Raymond يتهرب الأب من كل الواجبات من أجل لعب الجولف. في Stranger Things والد ويلرز غافل عن أولئك الذين يعيشون تحت سقفه. في the Fresh Prince of Bel-Air لا يعود والد ويل إلا من أجل إخافته لمرة أخيرة. لقد صاغ هذا السرد تصور الرجال عن أنفسهم؛ لأن الفن والأدب لطالما كانا يوجهان الثقافة وليسا مجرد وصف لها. تشرب بعض الرجال هذه الرواية، وأصبحوا آباء هاربين وعاكفين على أجهزة الفيديو. وقرر كثيرون آخرين أن يفضلوا تجنب الأبوة على أن يكونوا فقراء فيها.

وباستكمال السمية من تطبيقات المواعدة التي لا نهاية لها في عصر الهواتف المحمولة، نحن نواجه الآن آثارًا مدمرة لجعل الدعارة أمرًا طبيعيًا، والتي فصلها مارك ريجنيروس في كتابه:

Cheap Sex: The Transformation of Men, Marriage, and Monogamy.

كان هناك منحنى تاريخي على شكل حرف U يتعلق بشدة تصوير وسائل الإعلام للأب على أنه جاهل أو بليد بين ١٩٤٠ والآن(٢٤). يبدو أننا على قمة هذا المنحنى في الوقت الحاضر، ورغم أن الآثار الضارة لهذه

(23) See Omar Edward Moad, "Honored Since Adam: Islam and the Value of Human Freedom," Yaqeen Institute for Islamic Research, October 23, 2017, https://yaqeeninstitute.org/omar-edward-moad/honored-since-adam-islam-and-the-value-of-human-freedom/#.XegVqXt7nb0.

(24) Ralph LaRossa, Charles Jaret, Malati Gadgil, and G. Robert Wynn, "The Changing Culture of Fatherhood in Comic-Strip Families: A Six-Decade Analysis," Journal of Marriage and Family 62, no. 2 (May 2000):375-87, https://onlinelibrary.wiley.com/doi/abs/10.1111/j.1741-3737.2000.00375.x.

المبادئ المتغيرة على الأسرة لن تدرك بالكامل لجيل آخر، فإن دوامة الانحدار الاجتماعي تستمر بلا هوادة. ونحن نرى بالفعل كيف أن الحريات الجنسية ولدت الوحدة ونقص رعاية كبار السن، وزيادة الافتراس، وانخفاض المساءلة الاجتماعية، والأهم من ذلك، أدت إلى عدم الاهتمام بنظر الله.

ولن يتسنى لنا الإفلات من هذه الفوضى إلا بالخضوع لحكمة الله، وسلطانه (الإسلام). (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ). الملك. [١٤]. إن هداية الله وحدها هي التي بإمكانها أن تمنع تشويش الدور، واضطراب الهوية الذي يولد الأزمات الأسرية والفوضى الاجتماعية. كما أن الطبيعة المحدودة لهذا العالم، خاصةً الخطاب الاستهلاكي الحديث تؤدي إلى الجشع(٢٥) وأكل القوي للضعيف، وهذا هو السبب في أنه فقط من خلال إعادة توجيه مساعينا نحو رحمة الله اللانهائية يمكن أن يكون هناك الكثير لكل طالب. وعندئذ فقط يمكن للبشر أن يهربوا من صراع السلطة المُعَطّل بين الغني والفقير، والقوي والضعيف، والرجل والمرأة.

وخلاصة القول، إن الأدوار الأساسية للرجل والمرأة في الأسرة متمايزة، ولذا لا ينبغي أن تكون حول من يمكنه التفوق على الآخر في العمل المكلف به، ولكن من يمكنه أداء واجباته التي فرضها الله عليه بأفضل مما طلب منه. بالنظر إلى الخصائص المميزة وسمات الرجال والنساء، فالرجال مكلفون بأن يكونوا مصدر الدخل الرئيسي والقادة(٢٦) بينما تكلف النساء بأن يكن الراعيات الرئيسيات والمربيات.

هناك استثناءات رئيسية وهامة تتعلق بالصفات الفردية أو وجود احتياج أكبر، كما نذكر في هذه الورقة، حتى في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، لكن هذه هي أكثر الترتيبات حكمة لهذا العالم التي وضعها الخالق الأكثر عدلًا، ورحمة، وحكمة.

من حكمة الله ورحمته أنه خلق الرجال والنساء بطبيعة مترابطة، والتي من خلالها يجدون أهميتهم في بعضهم البعض، وهي أهمية يمكن لها أن تحقق التوازن والهدوء في علاقاتهم، لأطفالهم، وفي المجتمع ككل. ولضمان هذا التوازن فإن عدالة الله تحدد لكل شريك حقوقه ومسؤولياته، كما كتب الدكتور حاتم الحاج:

(بمجرد الإخلال بالتوازن الدقيق بين الحقوق والمسؤوليات، لن تكون قادرًا على التنبؤ بالنتائج، ناهيك عن التحكم فيها. أتمنى أن يدرك دعاتنا الشباب هذا بينما يحاولون جعل الإسلام أكثر جاذبية للثقافة الحديثة السائدة بشكل شرعي. على سبيل المثال، عندما تفرغ القوامة (مكانة الزوج كرب البيت) من معناها وتجعلها فقط تعني المسؤوليات دون الحقوق المقابلة، ستبدو (معتدلًا) وكفء ثقافيا. ومع ذلك، سَتُخِّلُ بالتوازن الدقيق الذي أنشأه العليم الحكيم. المجتمع بأسره سيعاني، لكن أخواتنا سيكن الأكثر معاناة)(٢٧).

(٢٦) (ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا) سورة النساء [٩]. (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ) سورة الطلاق. [٦].

(25) See Shaykh Abdal Hakim Murad, "Crisis of Modern Consciousness," lecture at Masjid Negara, Kuala Lumpur, March 28, 2010, https://youtu.be/RWOKaOb33K4.

(27) Hatem al-Haj, "Once you disturb the delicate balance between rights and responsibilities, you will not be able to predict the results, let alone control them," Facebook, January 4, 2017.

ما الذي يقدمه الآباء؟

يتطلب نموذج الوالدية الأساسي أن يكون لكلٍ من الوالدين دور أساسي، حتى وإن كان لا مناص من لعب أدوار الآخرين في مناسبات محددة. بناءً على هذه الفرضية، ننتقل الآن لاستكشاف المنافع التي يحصل عليها الأطفال من العلاقة مع والدهم التي تختلف اختلافًا كبيرًا عن تلك المستمدة من علاقتهم بوالدتهم.

أولًا. السلطة الأبوية:

كون الأب حاضرًا ومتعاونًا ومشاركًا ومنخرطًا في الحياة الأسرية يضفي على المنزل هالة من النظام والانضباط. يلعب الآباء دورًا فعالاً في منع سوء السلوك وأحيانًا الأمراض النفسية لأطفالهم.

وفقًا لشيلدون وإليانور جلوك (١٩٨٠ و١٩٧٢، على التوالي) واللذين كانا من علماء الجريمة المخضرمين الذين درسوا جنوح الأحداث. لقد طورا (جداول للتنبؤ الاجتماعي) التي تنبأت باحتمال حدوث السلوك المنحرف في الشباب، ووصفت حاجة الأطفال النمائية للتعرض لكلٍ من الانضباط المناسب والتنشئة المحبة. هذا لا يوحي بالطبع أن الآباء دائمًا أفضل من يؤدبون، أو أن الآباء قد لا يتصرفون أبدًا كمسؤولين أساسيين عن تقديم الرعاية. من الناحية المثالية، سيتعاون كل من الأب والأم لتوفير المزيج المناسب من الانضباط والرعاية.

وبالنظر إلى أن أطفالنا هم انعكاس لنا، فإن ما يساعد على ضمان استفادتهم من السلطة الأبوية هو رؤية أمهم تحترم قيادة والدهم للأسرة. وبخلاف ذلك، سيبدأ الأطفال في استخدام أحد الوالدين للنيل من الآخر، وعندئذ قد يبتعد الأب في نهاية المطاف عن المشاركة الأسرية بسبب التهميش أو لمجرد تجنب الصراع.

وبينما يصبح بعض الرجال غير مرتبطين بالأسرة؛ لأنهم لا يشعرون بالمسؤولية، أو غير ماهرين في الاتصال الفعال وتسوية النزاعات، فإن حراسة البوابات من قبل الأمهات maternal gatekeeping هو أيضًا عامل آخر. ما لم يأخذ هذا بعين الاعتبار، فإن السلطة الأبوية تفقد بانسحابه، وبإمكان هذا أن يمهد الطريق لفترة طويلة من المعاناة لأطفاله.

وقد أجرت سينثيا هاربر وسارة مكلاناهان دراسة طولية لمدة عقدين من الزمن على ٦٤٠٣ فتى بلا أب تتراوح أعمارهم بين ١٤ و٢٢ عامًا في عام ١٩٧٩. ووجدوا أن انعدام الأب أدى إلى احتمال دخول السجن بشكل متوقع وأعلى بكثير في وقت لاحق من الحياة(٢٨). وفي الواقع، إن احتمالية أن يدخل الأولاد الذين ينشؤون في أسر ترعاها أم بدون والد السجن في مرحلة البلوغ تزيد بمقدار الضعف عن الأسر التي يرعاها أب وأم. ينطبق هذا على كل العائلات بغض النظر عن العرق.

وبما أن نموذج الإسلام «للقيادة الذكورية في الأسرة» كثيرًا ما يساء فهمه، فلنحاول توضيح هذا المفهوم هنا:

- هناك العديد من النصوص في القرآن والسنة تثبت بما لا يدع مجالًا للشك أن الله هو الذي حدد هذا، لا (التقاليد الأبوية) أو محرفين متعجرفين. وبما أن الله يسمو فوق النوع الجنسي gender وفوق القابلية للخطأ فإننا سنسدي لأنفسنا خدمة باستكشاف الحكمة من هذا التحديد. ربما تكمن الحكمة من هذا أن الرجال لديهم قدرة أكبر على القيادة وأن النساء لديهن قدرة أكبر على الرعاية، ربما كلاهما على حد سواء أو أكثر من الآخر. في نهاية المطاف التسليم (الخضوع) هو جوهر الإسلام. وفي حين أن هذا لا يتطلب تعطيل التفكير، لكنه يعني أن قبول الإنسان فقط لما هو (منطقي) له، فإن إلهه ليس هو الله الخالق. كما يقول الله: (أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا). الفرقان. [٤٣].

- السلطة هنا ليست حكمًا استبداديًا. ولا جدال في أن الصورة الكاريكاتيرية النمطية للزوجات على أنهن عبيد جنس لا حول لهم ولا قوة ولا يحق لهم الحصول على الرأي ليس له أساس في الإسلام (يتم تناول إساءة استخدام السلطة لاحقًا في هذا الورقة). يصيغ الله الزواج في القرآن على أنه اتحاد للمودة والرحمة. الروم. [٢١]. والاحترام المتبادل. البقرة. [١٤٨].

أوضح الفقهاء المسلمون التقليديون كيف يمنح الأطفال درجات كبيرة من الاستقلال الذاتي وأن الزوجان يتمتعان بحرية كبيرة في التعبير عن فرديتهم. ويؤكد الفقهاء المسلمون كذلك على مدار ١٤ قرنًا أن واجب الزوجة تجاه زوجها مشروط بقيامه بواجباته تجاهها. (في ضوء الآية رقم ٢٢٨ من سورة البقرة). وبالتالي يمكنها معاقبته، أو فسخ الزواج إذا فشل في صونها. في الإسلام السلطة المطلقة لله وحده، لكن لصالح النظام الاجتماعي، خصص الله للبعض درجة من السلطة على الآخرين وطالب بالامتثال لها للصالح العام.

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (كُلُّكم راعٍ وكُلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّتِه فالإمامُ راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّتِه والرَّجلُ راعٍ في أهلِه ومسؤولٌ عن أهلِه والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِها ومسؤولةٌ عن رعيَّتِها (٢٩). ولأن الرعي يتطلب المسؤولية والقيادة، فمن الظلم تحميل أي شخص مسؤولية أي شيء ليس له سيطرة عليه.

- الزواج كثير الشبه بأي مؤسسة أخرى مشتركة؛ يتطلب سبل فعالة لمنع الجدالات التي لا نهاية لها، وجمود اتخاذ القرارات. في السنة النبوية نجد أنه: (إذا كان ثَلاثةٌ في سفَرٍ فليُؤمِّروا أحَدَهم)(٣٠).

فكم من الضروري إذًا أن تكون هناك آلية للقيادة لمنع مثل هذه المشاكل في رحلة الزواج مدى الحياة؟ تخيل مناظرة رئاسية لا تنتهي بقرار الشعب النهائي، بل عندما يتنازل أحد الطرفين للآخر. ومن هنا النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي عَلَّم الرجال طلب مشورة زوجاتهم(٣١) عبر الاقتداء به، علمنا أيضًا أن الله قد أذن للزوج باتخاذ القرار النهائي وبالتالي سيكون أكثر مسؤولية أمام الله بسبب هذا. وتمامًا كما أن وجود قائد بين المسافرين لا

(28) Cynthia C. Harper and Sara S. McLanahan, "Father Absence and Youth Incarceration," Journal of Research on Adolescence 14, no. 3 (September 2004): 369-97, https://doi.org/10.1111/j.1532-7795.2004.00079.x.

(٢٩) صحيح البخاري رقم [٧١٩]، صحيح مسلم رقم [١٨٢٩].

(٣٠) سنن أبي داود. ٨:٩٦٠.

(٣١) من المعروف على نطاق واسع في صحيح البخاري وفي أماكن أخرى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما انتهى من الصلح مع قريش وأمر أصحابه بالتوقف عن العمرة، ولما لم يفعلوا دخل -صلى الله عليه وسلم- على زوجته أم سلمة -رضي الله عنها- يشتكي من تقاعسهم. فقالت: (يا نبيَّ اللهِ! اخرُجْ ثم لا تُكلِّمْ أحدًا منهم بكلمةٍ، حتى تنحرَ بُدْنَكَ وتدعوَ حلّاقَكَ فتحلقَ!). عندما فعل ذلك، أدركوا أن الأمر لا رجوع فيه، وهكذا تبعه جميعهم البالغ عددهم ١٤٠٠ شخصًا. انظر صحيح البخاري، رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

يترتب عليه أي انخفاض في مكانة الآخرين، فعدم جعل الزوجة متعادلة مع زوجها لا يترتب عليه إهانة لها. وأخيرًا، يشدد تصنيف كامل من الأحاديث النبوية على الهروب من القيادة(٣٢)، ويقرر أن من يطلبونها غير مؤهلين لها(٣٣). عندما تفرض القيادة على شخص، الرجال في هذه الحالة، ينبغي أن يكونوا خائفين من عدم الوفاء بها، وأن بالتأكيد حسابهم سيكون مختلفًا عن الجميع، وأن يخلصوا في إرضاء الله ثم عائلاتهم. (تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا). القصص. [٨٣].

ورغم أن إساءة استخدام السلطة تشكل واقعاً متفشياً في عالمنا، فإن الإسلام يعلمنا أن وجود السلطة (التي من دونها تنشأ الفوضى) ليس هو المعضلة. بل المعضلة تكمن في غياب أكبر الضمانات التي تحمي من التجاوزات البشرية؛ أي: الخوف من الله، وتنمية الضمير، وصدق الرغبة في فعل الشيء الصحيح، وإدراك حدود الله التي يجب احترامها وحمايتها في النطاق العام والخاص. وهذه أمور نادرة في عصر يكون فيه الإسلام مجرد هوية ثقافية للكثيرين، وبالتالي أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا يتعرضن للاضطهاد في كثير من بيوت المسلمين أمام أعيننا. ولكن في أي وقت وفي أي مكان يعتنق فيه الإسلام بشكل صادق، نجد أمثلة ساطعة تجسد كلمات النبي -صلى الله عليه وسلم-: (خيرُكم خيرُكم لأهلِه) (٣٤).

وفي النهاية، إذا لم يشهد الطفل هيكلًا واضحًا للسلطة في المنزل يجب أن يتقيد به، فإنه سيجد صعوبة في احترام القواعد، وفي الاعتراف بسلطة الله في حياته في بعض الأحيان. إن تنمية الشعور بالمساءلة وضبط النفس أمر ضروري للأطفال لتجنب العواقب غير المرغوب فيها. سبعون بالمائة من المراهقين في المؤسسات الإصلاحية للأحداث في الولايات المتحدة ينحدرون من بيوت لا أب فيها، ويعتبر هذا تسعة أضعاف المتسربين من المدارس الثانوية من أسر لا أب فيها. (انظر هذا الإنفوجرافيك).

http://fathers.com/wp39/wp-content/uploads/201507//fatherlessInfographic.pdf

هؤلاء كانوا أطفالًا لم يجدوا من يغرس فيهم تحمل الإحباط، أو يعودهم سماع كلمة (لا)، غير القابلة للتفاوض في بعض الأحيان. تعتبر هذه مساهمة في نموهم لا تقدر بثمن، وحجر الزاوية في تنظيم عواطفهم ومرونتهم، وكثيرًا ما يكون الأب هو من يقوم بهذا.

ثانيًا: العاطفة الأبوية

يعزز التعبير عن الدفء والحفاوة من جانب الأب من قدرته على أداء دوره الأساسي؛ فهو يوفر تأكيدًا غير لفظي أن الأب لا يؤدب الأطفال بدافع الكراهية، وإنما بدافع القلق الحقيقي. للعاطفة الأبوية أيضًا فائدة جوهرية للطفل؛ لأن الأطفال يتطلعون إلى أنواع مختلفة من الرعاية المحُبِة، سواء من الأب أو من الأم. يصف ألفريد ميسير كيف أن (جوع الأب) غالبًا ما يصيب الأولاد الذين تتراوح أعمارهم بين عام وعامين وغاب عنهم آباؤهم فجأة وبشكل دائم. كثيرًا ما تبدأ اضطرابات

(٣٢) روى أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (إنكم ستَحرصون على الإمارة، وإنها ستكونُ ندامةً وحسرةً). صحيح البخاري، رقم [٦٧٢٩].

(٣٣) روي عن أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- أنه قال: (دَخَلْتُ علَى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أنَا وَرَجُلَانِ مِن بَنِي عَمِّي، فَقالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: يا رَسولَ اللهِ، أَمِّرْنَا علَى بَعْضِ ما وَلَّاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقالَ الآخَرُ مِثْلَ ذلكَ، فَقالَ: إنَّا وَاللَّهِ لا نُوَلِّي علَى هذا العَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ، وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عليه). صحيح البخاري، رقم [٤٦٣]. صحيح مسلم، رقم [١٧٣٣].

(٣٤) انظر الحاشية رقم ١٣.

النـوم؛ مثـل صعوبـة الخلـود إلـى النـوم، والكوابيـس، ونوبـات الرهـاب الليلـي فـي غضـون شـهر إلـى ثلاثـة أشـهر بعـد اختفـاء الأب مـن المنـزل(٣٥).

يخلـق الآبـاء الغائبـون فراغًـا عاطفيًـا، أيضًـا يتركـون الشـباب علـى وجـه الخصـوص عرضـة لاتخـاذ القـرارات علـى نحـو يتسـم بقصـر النظـر. فعلـى سـبيل المثـال، ثلثـي حـالات الحمـل فـي المراهقيـن تحـدث بيـن الفتيـات مـن عائـلات بـلا أب(٣٦)، الكثيـر مـن هـؤلاء الفتيـات يسـعين إلـى الحـب الوقائـي الذكـوري، فـي حيـن أن الرجـال الذيـن ينجبون هـؤلاء الرضـع كان لديهـم دوافـع أخـرى تمامًـا. وعلـى نحـو مماثـل، يأتـي ٩٠٪ مـن الأطفـال المشـردين والهاربيـن مـن عائـلات لا أب فيهـا(٣٧). وبالنسـبة للعديـد مـن الشـباب، فـإن انتقالهـم إلـى مرحلـة البلـوغ يعرقلـه غيـاب نمـوذج الرجولـة فـي المنـزل. وكثيـرا مـا يرتبـط هـذا بمشـاعر الاغتـراب التـي تسـبب شـعورا بعـدم الكفايـة وتولـد حيـاة مـن الاسـتهتار والتمـرد، والتـي التقطـت مـن قبـل أمثـال رانـدي هكـس فـي كتابـه أزمـة التأكيـد: شـفاء جـراح جيـل لا أب لـه

The Affirmation Crisis: Healing the Wounds of a Fatherless Generation.

لكـن هـؤلاء ليسـوا الضحايـا الوحيديـن، فالآخـرون الذيـن شـعروا بعـدم القبـول مـن آبائهـم الحالييـن يعانـون مـن ميـل متزايـد لمحاولـة التعويـض عـن طريـق اللجـوء إلـى العصابـات، والهـوس بألعـاب الفيديو، سـاعين مـن خلالهـم للحصـول علـى القبـول الـذي يفتقدونـه، والذيـن يحتاجـون إليـه ويرغبونـه. فـي ورقـة بحثيـة عـن عصابـات الشـوارع نشـرتها المجلـة الدوليـة لعلـم الاجتمـاع والأنثروبولوجيـا، يكتـب الباحـث سـتانلي تايلـور: (١ فقـط مـن أصـل ٨ مشـتركين فـي هـذه الدراسـة كان لديـه أب يعيـش فـي المنـزل. ونظـرًا لأن المشـاركين كانـوا مـن عصابـات مختلفـة تمامًـا مـن مناطـق مختلفـة مـن لـوس أنجلـوس، فقـد أظهـر هـذا اتسـاقًا مفاجئًـا فـي «عـدم مشـاركة الآبـاء فـي حياتهـم كأطفـال»)(٣٨). يمضـي المؤلـف فـي إثبـات أن جميـع المشـاركين تقريبًـا قالـوا إنهـم وجـدوا قبـولًا أكبـر فـي العصابـة وتـم الثنـاء عليهـم أكثـر مـن أي وقـت مضـى فـي المنـزل.

(35) Alfred Messer, "Boys' Father Hunger: The Missing Father Syndrome," Medical Aspects of Human Sexuality 23 (January 1989): 44-47.
(36) U.S. Department of Health and Human Services, press release, March 26, 1999.
(37)Edward Kruk, "Father Absence, Father Deficit, Father Hunger," Psychology Today, May 23, 2012, https://www.psychologytoday.com/us/blog/co-parenting-after-divorce/201205/father-absence-father-deficit-father-hunger; Normer Adams, "Why Dads Matter," Juvenile Justice Information Exchange, Kennesaw State University,June 20, 2010, https://jjie.org/2010/06/20/why-dads-matter/.
(38) Stanley S. Taylor, "Why American Boys Join Street Gangs," International Journal of Sociology and Anthropology5,no.8(December2013):339-49, http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?-doi=10.1.1.429.2209&rep=rep1&type=pdf

ثالثًا: الأمن المالي

في عام ٢٠١١ أفاد مكتب الإحصاء الأمريكي أن (١٢٪ من الأطفال في العائلات التي يعيش فيها الزوجان يعانون من الفقر، مقارنة بـ ٤٤٪ من الأطفال الذين يعيشون في عائلات تتواجد فيها الأم فقط)[٣٩]. وقد يتساءل المرء عما إذا كانت نسبة الـ ٥٤٪ المتبقية التي هربت من الفقر لم تتعرض للأذى. وبعيداً عن هذا؛ لا يزال جزء كبير من المنازل الآمنة ماليا بلا أب يعاني من الجوع العاطفي. بعد أن يدرك المرء ما يترتب على العاطفة الأبوية، يستطيع أن يتصور الحاجة الماسة إلى رحمة الأم التي لا مثيل لها. بالنسبة لكثير من الأطفال، يكون تأمين الموارد المالية على حساب وجود الأم المادي في المنزل. قد ينعكس هذا الجوع العاطفي في حقيقة أن ٦٩٪ من الوفيات الانتحارية تحدث في عائلات بلا أب.

أقر قضاة مسلمون من كل مدارس الشريعة الإسلامية على مر التاريخ بأن الأمهات يتمتعن بقدرة أكبر على تربية الأطفال ورعايتهم. ويتفق الفقهاء بالإجماع على أن (الأم هي الأكثر استحقاقًا للحضانة المادية لصغارها)(٤٠)في حالة الطلاق؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قضى بهذا الحكم بنفسه(٤١). ينبغي أن تكون الحكمة وراء ذلك واضحة. كما يصيغها بعض علماء النفس، أن الشخصية النسائية تحظى باستمرار بقدرٍ أكبر من القبول (التفكير: على استعداد للتضحية من أجل الطفل)(٤٢)، في حين أن الرجال عمومًا أكثر كدحًا (التفكير: موجه نحو المهام).

ومن ثم فإن تصور أدوار الأم والأب قابلة للتبديل تصور طائش لا ينبغي أن يمر دون اعتراض. أما عندما تجبر ظروف الحياة أي من الوالدين على القيام بدور مزدوج، فهذا هو الوقت الذي نحتاج فيه إلى تذكر أيتام استثنائيين في تاريخ العالم بعضهم من أنبياء الله، وكيف يمكن أن يتدخل الله أحيانًا ليعوض، وأن الله وحده هو الذي لا يمكن الاستغناء عنه.

أين يجب على الرجال أن يتصرفوا برجولة؟

أولًا: إحياء القيادة النبوية.

يجب على الرجال أن يتولوا مهمة السيطرة على غرورهم. كلف الله الرجال بالقيادة لصالح الأسرة، لا من أجل مصالح أنانية. حتى لو كانت القلوب في المكان الصحيح، يتمرد الناس عندما لا تكون لديهم مساحة للتنفس أو يقيدوا. يجب أن نتذكر أن نفس الرجل -صلى الله عليه وسلم- الذي أخبرنا أن الرجال هم أرباب عائلاتهم أرانا أن كونك رأس العائلة يعني أن تخدم، وتحمي، وأن تكون مصدرًا للدعم- وهي واجبات والتزامات سيسأل عنها الرجل أمام الله. وصفت السيدة عائشة -رضي الله عنها- النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه كان شخصًا يصلح ثيابه بنفسه، ويحلب أغنامه، ويخدم نفسه.(٤٣) في صحيح البخاري تحت عنوان: كيف ينبغي أن يكون الرجل مع أهل بيته، نجد السيدة عائشة -رضي الله عنها- تشهد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان «في مهنة أهله» في بيته(٤٤). وتفوق -صلى الله عليه وسلم- في العفو عن أي انتهاك لحقوقه، وتفوق على الجميع في كبح غضبه. ولما أخبر أنه لا يوجد في المنزل طعام كان يقول ببساطة -صلى الله عليه وسلم- إذًا أصوم(٤٥).

(39) Children's Living Arrangements and Characteristics: March 2011 (Washington, DC: US Census Bureau, 2011), Table C8.

(40) Salah al-Sawy, "Family Code for Muslim Communities in North America," presented at The Assembly of Muslim Jurists of America's 8th Annual Conference, Kuwait, March 2012, https://www.amjaonline.org/declaration-articles/the-assemblys-family-code-for-muslim-communities-in-north-america/.

(٤١) روى عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنَّ امرأةً قالت يا رسولَ اللهِ إنَّ ابني هذا كان بطني له وِعاءً وثديي له سقاءً وحِجري له حِواءً وإنَّ أباه طلَّقني وأراد أن ينتزعَه منِّي فقال لها رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (أنتِ أحقُّ به ما لم تَنكِحي). سنن أبي داود. رقم [٢٢٦٩]. حسنه الألباني، في إرواء الغليل. رقم [٢١٨٧].

(42)Alan Feingold, "Gender Differences in Personality: A Meta-Analysis," Psychological Bulletin 116, no. 3(November 1994): 429-56.

(٤٣) مسند أحمد، رقم [٢٤٩٠٣]. حسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم [٤٩٣٧].

(٤٤) صحيح البخاري، رقم [٦٠٣٩].

(٤٥) صحيح مسلم، رقم [١١٥٤].

كما ترك أولئك الذين أرشدهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أيضًا أمثلة ساطعة عن كيف يمهد القادة الحقيقيون بشخصياتهم المثالية طريقًا إلى قلوب الناس. شدة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كانت معروفة للجميع، لكن بدا أن الناس يقتنعون بصلاحه أكثر من اقتناعهم بصلابته. لقد شعروا أن الواقف أمامهم شخص صادق حقًا، شخص كان قاسيًا على نفسه أكثر من قسوته عليهم. جزء لا يتجزأ من مثاله الوصفة التي يسعى لها كل رجل يريد لعائلته التعاون. في بعض الأحيان نشجع دون قصد التمرد في منازلنا، من خلال عدم الامتثال السافر لأوامر الله. إذا اشتهر الزوج في بيته بترك الصلاة أو التكلم بألفاظ نابية أو مشاهدة عروض غير لائقة أو التصرف بعنف، يقلل هذا من فرص أن يؤخذ على محمل الجد عندما يرشد أسرته أو يحضها على الالتزام الاختياري بآية قرآنية أو حديث نبوي. القادة يقودون بالقدوة.

ظاهرة أخرى مؤسفة في هذا الصدد وهي عندما يعيق الولي (الوصي الذكر) زواج بناته من الخاطبين المتوافقين. يمنع القرآن(٤٦) بوضوح مثل هؤلاء الرجال من استغلال سلطتهم في دفع الرجال المحترمين والشرفاء عن طلب يد النساء اللاتي تحت رعايتهم. (عادة بناتهم). هذا العناد يتعارض مع الدور الفعلي للولي؛ وهو تسهيل الزواج من الخاطب المتوافق، لا إعاقته. قال الشيخ العثيمين، وهو فقيه سعودي كبير: (والفقهاء -رحمهم الله- ذكروا أنه عندما يرفض الولي مرارًا وتكرارًا خاطبًا متوافقًا فإن ذلك يجعله فاسق (آثم فظيع)، ومصداقيته في الشهادة) الوصاية مرفوضة. وفي الواقع، يصبح غير مؤهل كإمام وفقًا للموقف المعروف جدًا للمدرسة الحنبلية، حيث لا يستطيع أن يقود المسلمين كإمام لهم في صلاة الجماعة، وهذا أمر خطير)(٤٧).

ثانيًا: استعادة العاطفة الذكورية.

ومع أن الله جعل تلقي رحمته مرهونًا بسعة الرحمة لتشمل الجميع٤٨، فقد أكد على ذلك بصفة خاصة في حالة الصغار لأسباب واضحة. فحجب عبارات الحب والمودة عن الأطفال، أو ترك هذا للأم وحدها، يمكن أن يكون مدمرًا. عندما شهد الأقرع بن حابس -رضي الله عنه- النبي -صلى الله عليه وسلم- يقبل حفيده، تباهى بأنه لم يقبل أي من أبنائه العشرة أبدًا؛ فقال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: (وما أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة؟ من لا يرحم لا يرحم)(٤٩).

في الولايات المتحدة وحدها ٢٠ مليون طفل ليس لديهم أب حاضر بشكل جسدي يدعمهم ويمسح دموعهم، وملايين آخرين لديهم أب موجود جسديًا لكنهم يجدونه عاطفيًا بدون إحساس أو غائب. حتى في المجتمعات الإسلامية نجد أحيانًا مفاهيم غريبة عن الرجولة المتحفظة التي تتناقض بشكل صارخ مع النموذج النبوي. ويعزى ذلك عادةً إلى المفاهيم الثقافية التي تمنع من عناق الأولاد أو إلزامهم بقمع عواطفهم.

لكن عند الرجوع إلى النموذج النبوي، نجد في السنة أن الرجل الأكثر رجولة في كل العصور علم الرجال أن يلينوا قلوبهم بمسح رأس اليتيم(٥٠)، ونجده يحمل أسامة والحسين -رضي الله عنهما- بلطف، ويقول: (اللهم إني أحب هذين، فأحبهما)(٥١). هكذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- مزيجًا رائعًا من اللين في المنزل والشجاعة في ساحة المعركة. وفي الواقع، فإن سعد بن عبادة -رضي الله

(٤٦) البقرة. [٢٣٢]. والنساء. [١٩].

(٤٧) محمد بن عبد العزيز بن عبد الله المسند، فتاوى إسلامية. (الرياض: دار الوطن، ١٩٩٥).

(٤٨) روى أنس عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (والذي نفسي بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيم)، قالوا: (يا رسول الله كلنا يرحم)، قال: (ليس برحمة أحدكم صاحبه يرحم الناس كافة). مسند أبي يعلى. رقم [٤٢٥٨]. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة. رقم [١٦٧].

(٤٩) صحيح البخاري، رقم [٥٩٩٨]، صحيح مسلم، رقم [٢٣١٨].

(٥٠) مسند أحمد، ٢:٢٦٣، وانظر السلسلة الصحيحة، رقم [٨٥٤]، وصحيح الجامع، رقم [١٤١٠] للوقوف على صحته.

(٥١) صحيح البخاري، رقم [٣٧٤٧]، وأماكن أخرى.

عنه- عانى مرة ليفهم كيف أن النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي علمهم قبول أقدار الله، كانت الدموع تنساب على وجهه وهو يراقب حفيده يحتضر. ولتحويل حتى هذه اللحظة إلى لحظة قابلة أن يُعَلّم فيها، فقال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (هذه «الدموع» رَحْمَةٌ يَضَعُها اللَّهُ في قُلُوبِ مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ، وإنَّما يَرْحَمُ اللَّهُ مِن عِبادِهِ الرُّحَماءَ)(٥٢).

في بعض الأحيان يستخدم الآباء القسوة مع أبنائهم معتقدين أن هذا ضروري «لجعلهم أكثر صلابة». يشجع الإسلام الأولاد على تطوير القوة البدنية، والصلابة الشاملة، ولا يُعَلّم أن شجاعة الذكور وميولهم الوقائية مجرد مفاهيم اجتماعية. ومع ذلك، فإن خارطة الطريق المتوازنة إلى هذه الفضائل ما يضمن أنها محققة لكن بعيدة عن أن تصبح رجولة سامة. التأكيد على المودة الأبوية أحد مكونات ذلك التوازن الإلهي. فالخشونة المفرطة من الممكن أن تؤدي في الواقع إلى انعدام القدرة على التحمل والصلابة التي يخشون على أبنائهم منها؛ وذلك لأنها تغرس في النفس عدم احترام الذات، وتهيئهم للاستسلام، والخنوع، والتنمر، والإذلال. وتزداد احتمالية حدوث ذلك أثناء مرحلة الطفولة، عندما تكون قابلية الشخصية للتطويع في أوجها.

النتيجة السلبية الأخرى للمعاملة القاسية، أنه عندما يجرد الأطفال من تعاطفهم الفطري يمكن أن يحولهم هذا إلى تهديدات خطيرة. لاحظ ألبرت باندورا من جامعة ستانفورد، مؤلف كتاب عدوان المراهقين، أن الجامحين عادةً ما يعانوا من غياب العاطفة الأبوية.

ثالثًا: الواجب المالي المقدس.

بالنظر إلى أنه لا أحد يريد أن يضطر للاختيار بين تلبية الاحتياجات العاطفية لأطفاله في مقابل الاحتياجات المالية، يجب أن نفترض أن بعض النساء اضطررن إلى تولي دور العائل الأساسي بعد أن أهمل أزواجهن هذا الواجب. قد يلعب عدد لا يحصى من الأسباب دور في تخلي الرجال ماليًا عن أسرهم، وسنتناول اثنين منها:

- يشترط كثير من الرجال التقدير مقابل الخدمة، وكنتيجة طبيعية يؤدي نكران الجميل إلى توقف الخدمة. بالتأكيد حذر النبي -صلى الله عليه وسلم- النساء بشدة من أن يكن ناكرات لجميل أزواجهن، لكن من منظور واجبات الرجال يتجلى هنا اتساق العمل بإخلاص من أجل رضا الله. لا ينبغي على الرجال أن يعيلوا عائلاتهم لأن العائلة تشكر له هذا، بل لأننا مفلسون وبحاجة إلى رضا الله. وينبغي أن نتذكر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (دِينارٌ [عملة ذهبية] أنْفَقْتَهُ في سَبيلِ اللهِ ودِينارٌ أنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ، ودِينارٌ تَصَدَّقْتَ به على مِسْكِينٍ، ودِينارٌ أنْفَقْتَهُ على أهْلِكَ، أعْظَمُها أجْرًا الذي أنْفَقْتَهُ على أهْلِكَ)(٥٣). قد يتساءل المرء لماذا الإنفاق على أسرنا عمل يحظى بمكافئة عالية في الإسلام. من أجل استقرار المنزل، يقول الله للعائلين أنا أعلم أن أعمالكم وراء الغرف المغلقة ربما لا تكون موضع تقدير، لكن لا تستسلموا أنا أقدركم.

- بعض الرجال يستغلون زوجاتهم ببساطة، ويجعلونهم يشعرن بالذنب (لوجودهن في البيوت طوال اليوم) و(عدم مساعدة الأسرة في شيء). هؤلاء الرجال قد اقتنعوا بالضجيج المادي الذي يرى المال فقط ما له قيمة وأن تكديسه أمر جدير بالإعجاب. وقد خُدِعوا لجعلهم يتصورون أن الزوجات والأمهات ربات البيوت أناس كسالى يعيشون من أجل النميمة والمسلسلات التلفزيونية. ولا ينبغي لأي مسلم محترم أن يتسامح مع هذه التصورات المقولبة المعممة، ناهيك عن طرحها، خاصةً بعد أن حملت زوجته على عاتقها جهاد الأمومة. (الأم

(٥٢) صحيح البخاري، رقم [١٢٨٤]، صحيح مسلم، رقم [٩٢٣].

(٥٣) صحيح مسلم، رقم [٩٩٥].

العاملة) بالتأكيد عبارة زائدة عن الحاجة. الأم هي المعلمة الأولى للطفل، التي تُعَلم من خلال تفاعلاتها اليومية مع الطفل التي تبدو عادية لكن عميقة، ومن خلال المحادثات المبكرة مع ذلك الطفل، عندما يكتشفون تحت أجنحة الأم ما يعنيه حقًا أن تكون إنسانًا. التوقع من الأمهات أن يكسبن أجورًا بالخارج كقاعدة أساسية بينما يقمن برعاية الأطفال أمر غير عادل بالنسبة لهن ولأطفالهن، مثلما هو الحال بالنسبة للطلب من الآباء كقاعدة أن يبقوا في المنازل ويصبحوا الرعاة الأساسين ويقوموا بتسخين مخزون حليب الأم فهو غير عادل بالنسبة لهم ولأولادهم. نذكر مرة أخرى هنا أن الاستثناءات في أوقات الحاجة مستبعدة هنا. ويجب ألا يتصور المرء أن المسؤوليات البيولوجية والاقتصادية للمرأة والرجل يمكن أن تتبدل بشكل كامل. ولا يجب أن نطلب من النساء الخروج والعمل، مثلما سيكون من السخيف أن نطالب الرجال بإنجاب الأطفال. ومرة أخرى لا نقول إن الأم لا ينبغي لها أبدًا أن تساهم خارج المنزل، بل ينبغي على الرجال ألا يتوقعوا منها ذلك، مثلما ينبغي عليها ألا تختار هذا على حساب أطفالها.

كلمة فراق

قد تم توضيح الحقوق والحقائق التي لا جدال فيها التي منحت على وجه التحديد للمرأة مع مجيء الإسلام في مُؤَلف آخر صدر عن يقين بعنوان:

"We Used to Have No Regard for Women: Gender Equity & the Advent of Islam"(٥٤)

لتوضيح أن الحضارة الإسلامية سارت على هذا الهدي قبل أكثر من ألف سنة من قيام الحضارات الغربية بذلك.

على سبيل المثال لم تتمكن النساء في الولايات المتحدة من دخول سوق العمل إلا خلال الحرب العالمية الثانية، بينما الحاكم الثاني بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- عين امرأتين لإدارة وتنظيم السوق خلال القرن السابع. وكان من المعروف أيضا في ذلك الوقت أن المرأة المسلمة تصحح علنا لنفس الحاكم وقائد الدولة، حيث قبل ذلك التصحيح. كانت آراء النساء يسعى إليها بنشاط إلى جانب آراء الرجال عند اختيار خليفة لقائد الدولة على مدى ألف عام، قبل أن تعطى الحق التصويت بموجب الدستور في الولايات المتحدة دون الاضطرار إلى النضال من أجل هذا الحق الأساسي (غير القابل للتصرف).

مذهل! هذه هي المكانة والاحترام التي أعطيت للمرأة من قِبل الإسلام، ولم يعرف قط أن أي واحدة من الصحابيات اشتكت من الإسلام، أو الوحي، أو الطريقة التي طبقه بها النبي -صلى الله عليه وسلم-. في واقع الأمر العكس هو الصحيح، قد شعروا بدعم وتحرير من قِبَله أكثر مما كانوا يتخيلونه لأنفسهم.

وبمجرد الاعتراف بهذه المبادئ الملزمة، أي التفرد بين الجنسين، ولكن الإنصاف، يمكن للمناقشة بعد ذلك أن تنفتح على الوحدة الأساسية للمجتمع، وهي الأسرة. لا يمكن التقليل من أهمية الأسرة المكونة من والدين، التي تعطي كل منهما ما له من حقوق ومسؤوليات واجبة من الطرف الآخر.

(54) Maryam Al-Dabbagh, "We Used to Have No Regard for Women: Gender Equity and the Advent of Islam,"
Yaqeen Institute for Islamic Research, July 17, 2019,
https://yaqeeninstitute.org/maryam-al-dabbagh/we-used-to-have-no-regard-for-women-gender-equity-the-advent-ofislam/#ftnt2.

والـدان يعمـلان بكامـل طاقتهمـا مـن المحتمـل أن يكافحـوا مـن أجـل تجهيـز أطفالهـم ليكونـوا قادريـن علـى الصمـود فـي وجـه العواصـف التـي تلـوح فـي الأفـق والتـي سـوف يواجهونهـا فـي حياتهـم.

يؤمـن المسـلم أن هـذه الصعـاب لا يمكـن التغلـب عليهـا إلا بعـون الله، ويناشـد الله أولًا بالامتنـان لـه، واعتنـاق توجيهاتـه المعينـة التـي أنعـم بهـا علينـا.

فالمسـلم يـدرك أن التهديـد بفقـدان المـرء لعقيدتـه أعظـم مـن خطـر التهديـد بالفقـر، والمخـدرات، والتشـرد، والانتحـار. وليـس ذلـك لمجـرد أن الدراسـات الموثوقـة تكشـف أن التربيـة الدينيـة أفضـل لصحـة الأطفـال ورفاههـم، بـل لأن توفيـر الرعايـة لهـم فـي هـذا العالـم أمـر ثانـوي لتوفيـر السـلامة والرفـاه لهـم فـي الحيـاة القادمـة، وهـو أمـر أعظـم وأكثـر دوامًـا. (ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٞ). الرعد. [٢٦].

لذلـك فـإن المسـلم علـى يقيـن أن الله لا يخيـب ظنـه، وأن القـرآن كذلـك حبلـه المؤكّـد الـذي يمـدّه لينقـذ كل مـن يمسـك بـه. المسـلم يثـق فـي أن أفضـل طريقـة لإيجـاد الإرشـاد بالنظـر إلـى الأعلـى نحـو السـماء، بالتأكيـد لا مـن خـلال النظـر حـول أولئـك الذيـن يقومـون بالتجربـة فـي الظـلام.

* المقال من منشورات معهد يقين:

https://yaqeeninstitute.org/

* رابط المقال الأصلي:

https://yaqeeninstitute.org/read/paper/gender-uniqueness-in-islam-and-the-significance-of-fatherhood

نماذج لشخصيات نابغة للجندر

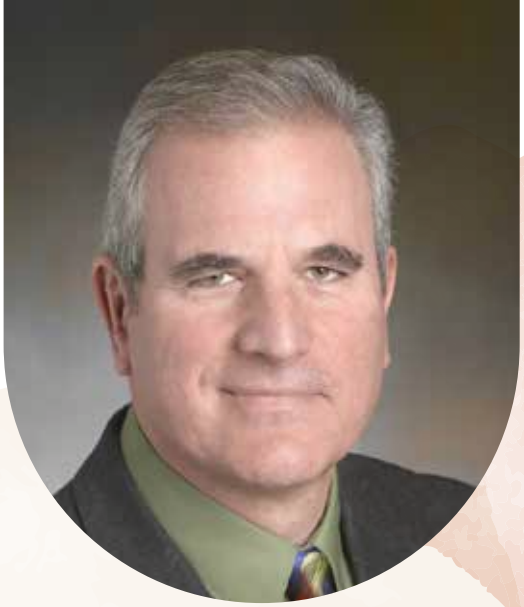

٢/ (ليوناردو ساكس) Leonard Sax

هو طبيب معالج وطبيب نفس الأسرة، أمريكي من مواليد عام ١٩٦١م (يبلغ ٦٠ عاماً اليوم)، خريج معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا عام ١٩٨٠م، وقد حصل على شهادتي الدكتوراه في الطب والدكتوراه في الطب النفسي من جامعة بنسلفانيا، تميز في طب الأسرة والطفل، وصار معتمداً منذ عام ١٩٨٩م ولفترة كبيرة من جهة المجلس الأمريكي لطب الأسرة، كما اشتهر بإطلاقه ممارسة الرعاية الأولية للأطفال والبالغين منذ عام ١٩٩٠م إلى عام ٢٠٠٨م بولاية ماريلاند.

● الأقرب لفهم الأطفال:

منذ عام ٢٠٠١م ودكتور (ساكس) يجري العديد من اللقاءات مع أولياء الأمور في زياراته المتكررة للمدارس، وقد استشرف مبكراً خطورة الفكر الساعي لإزالة الفوارق بين الأطفال الذكور والإناث بدعوى المساواة والجندر (مثل تعمد دفع الأولاد الذكور ليلعبوا بألعاب الفتيات ولاستخدام الألوان الغالب استخدامها من الفتيات والعكس بالعكس)، لذلك لم يتأخر كثيراً إصدار كتابه الأول عام ٢٠٠٥م والمثير للجدل بعنوان (لماذا يعد الجندر مهماً؟ Why Gender Matters)، والذي حاول فيه تأكيد الفروقات الفطرية والجسدية والعصبية والسلوكية بين الذكر والأنثى، وحتى في طريقة استقبال الحواس كالسمع والبصر والصلة بين المشاعر والتعبير اللغوي عنها، وكان من بين الانتقادات الشهيرة التي حاول بها المدافعون عن الجندر تشويه أفكار الكتاب هي الانتقادات العلمية، كذلك اتهامه بأنه يُعمق دور البيئة في وضع حدود وقيود على النوع (خاصة الأنثى)، لذلك أصدر نسخةً جديدة من كتابه عام ٢٠١٧م يرد فيها على مختلف الادعاءات والانتقادات (خصوصاً في وجود فروقات في السمع والبصر)، ويستخدم فيها معلومات علمية مُحدثة لتدارك أية أخطاء، ويؤكد على أنه ليس معنى كلامه فرض قيود مُعيقة على النوع من البيئة.

● أولاد بلا وجهة...

بعد صدور كتابه الأول بأربعة أعوام، ألحقه دكتور (ساكس) في عام ٢٠٠٩م بكتابه المميز الثاني (أولاد بلا وجهة - أو أولاد تائهون) Boys Adrift، والذي حاول فيه تقديم الحلول لخمسة عوامل خلف انتشار وباء جيل من الأولاد غير المتحمسين وقليلي الإنجاز، فيقدم للوالدين النصائح التي حازت على إعجاب الكثير من المختصين حول كيفية زيادة الدافع الدراسي لأبنائهم، وكيفية وضع الحدود المناسبة لاستخدام ألعاب الفيديو، وكيفية حماية أبنائهم من أضرار التعاطي الذي يذهب بالعقل، أو الذي يعطي شعوراً زائفاً بالسعادة والاستروجين الصناعي.

● فتيات على الحافة!

في عام ٢٠١١م، واصل دكتور (ساكس) إصدار المواد القرائية المفيدة لمساعدة جيل من الفتية والفتيات، فأصدر كتابه الثالث (فتيات على الحافة) Girls on the Edge، والذي يوجه فيه النصائح لجيل الفتيات والشابات الذي صار من أساسياتهن الانكباب على الهواتف المحمولة وحسابات الفيسبوك وملابس الإغراء، والولع بتقييم الآخرين لهن أو الولع بتقليد (ذكورة الأولاد)، حيث يستعرض أربعة عوامل تقود الأزمة الجديدة للفتيات في نظره، وهي تشوش الهوية الجنسية والتساهل في تقليد الفتيات للملابس المثيرة جنسياً حتى قبل البلوغ (مجرد تقليد أعمى)، وخطر ذلك في تشييء أنفسهن وإعطاء انطباعات للغير تنبع من مظهرهن بدلاً من حقيقة شخصياتهن وهويتهن الذاتية، وهو ما يجعلهن أكثر عرضة للاكتئاب والابتزاز الجنسي والمشاكل العاطفية مستقبلاً، وكذلك عامل الفقاعة الإلكترونية (أي عالم التواصل الاجتماعي المغلق والزائف بكل ملهياته ومؤثراته من رسائل شات وماسينجر وغيره)، ثم الهواجس والوساوس الداخلية بشأن المقارنات مع الغير والسباق المحموم لإنقاص الوزن والجسم المثالي والشكل والمظهر، وأخيراً سموم البيئة التي تسبب البلوغ المبكر.

● انهيار الأبوة والأمومة:

يعد كتاب دكتور (ساكس) الأخير عام ٢٠١٧م بعنوان (انهيار الأبوة والأمومة) The Collapse of Parenting صيحة تحذير لكل والدين من التساهل في تنفيذ كل رغبات أطفالهن الصغار وكأنهم كباراً يعرفون مصلحتهم، فالتساهل مثلاً في الأكل غير الصحي سيصيبهم بالسمنة، والتساهل في امتلاك الهواتف والجلوس معها ومع الأجهزة بالساعات الطوال سيعمل على تحويل القدوة والتقدير من الآباء والأمهات إلى كل مَن هب ودب على الإنترنت وشبكات التواصل.

● الفصل بين الجنسين في التعليم:

وكأحد الأصوات الكثيرة المصلحة في الغرب حالياً والمنادية بضرورة الفصل بين الجنسين في التعليم، وأن ذلك هو أسلم وأصح سبيل للنمو النفسي والاجتماعي والسلوكي والتحصيل الدراسي، ينادي دكتور (ساكس) بهذا الفصل الذي يحمي الفتيات خصوصاً من الكثير من الأضرار النفسية والحياتية والاستغلال الجنسي (مثل الابتزاز الجنسي - التحرش والاغتصاب - التعليم مقابل الجنس - فضائح الصور العارية بين الطلبة والطالبات - الصراع المتواصل والمحموم لجذب انتباه الجنس الآخر والعلاقات العاطفية الزائفة والمؤقتة - الحمل المبكر ومخاطر الإجهاض) وغيرها الكثير.

مقترحات قرائية

سامية العَمري
تويتر: @ samiah_ar

١- حياة تالفة أزمة النفس الحديثة

تأليف: تود سلون ترجمة: د. عبد الله بن سعيد الشهري

«حياة تالفة» عبارة موحية استعارها مؤلف الكتاب لتعبر عن نمط الحياة الذي أقام تلك الأزمة مضطلع بعد ذلك بمهمة الكشف عن الأبنية النفسية الضارة التي شكلها النظام الرأسمالي مدعومًا بأيدلوجيا القهر، والاستغلال المادي الاستهلاكي» ويعبر مؤلفه عن شكل من أشكال التأثير بقوله: «ليست المشكلة فقط في مباغتة حيواتنا التي تأخذنا على حين غرة، وإنما في قيام الاحتمال بأن يجد معظمنا نفسه منخرطًا في أدوار عديدة لا يريدها، ويشعر بالمقابل أنه يبذل القليل للقيام بما يريده حقًا...»

إشكالية تأثير الحداثة على المعنى، والإنسان، ونمط الحياة المعاصرة من الإشكالات العميقة التي جلبتها الحياة المادية المعاصرة، فالمؤلف يحاول عرض هذه الإشكالات من زاوية تخصصه بصفته عالم نفس، وباحث متنقل بين دول كثيرة ليصل لنتائج بحثية يعرضها في كتابه، وقد أحسن د. عبد الله بن سعيد الشهري الاختيار، والبذل لنقله للعربية.

الكتاب يتناول الموضوع من خلال ثمانية فصول يقع في ٣٠٣ صفحة، يصدر عن دار الروافد الثقافية ودار ابن النديم، من إصدارات ١٤٤٣هـ .

٢- أسلمة العلمانية

تأليف: د. فهد بن صالح العجلان

يعتبر الكتاب من المؤلفات النقدية الفكرية التي ترفع اللثام عن أحد أهم الموضوعات المثارة في الساحة الفكرية المعاصرة، بعد أن سيطرت الثقافة العلمانية على العالم الغربي المعاصر، وفرضت هيمنتها على بقية مناحي الحياة، وكان من أشد آثارها ترك الناس للدين، أو تهميشه، وحصره في نطاقات هامشية ضيقة، وحين لم يستطع بعض المنتسبين للإسلام علمنة الإسلام جعلوا من تأويل ما يتعارض مع العلمانية؛ لأسلمتها مخرجًا لهم من هذا المأزق.

الكتاب يتناول الموضوع من خلال خمسة فصول يقع في ٢٣٦ صفحة، من إصدارات مركز تكوين، لعام ١٤٤٣ هـ.

٣- في أصول النظام القانوني الإسلامي: دراسة مقارنة لعلم أصول الفقه وتطبيقاته الفقهية والقانونية

تأليف د. محمد أحمد سراج

مع تنامي الدعوات في مجال القانون لإعادة إظهار العلاقة بين الفقه وأصوله، والقانون تبرز أهمية هذا الكتاب الذي أنصح المهتمين بالرجوع إليه، يقول مؤلفه: «يتحدد الهدف الذي أسعى إلى تحقيقه في هذا الكتاب ... أن القانون والفقه وأصول الفقه في النظر الإسلامي ليس لأي منها ما يصنع سوى تجلية القيم العامة التي أكدها القرآن الكريم، المتمثل بعضها في مبادئ العدالة، والكرامة الإنسانية، والحدب على الضعفاء...»

«من المسلم به أن الفقه الإسلامي هو حجر الزاوية في البناء القانوني الذي ظلت الشعوب الإسلامية تطبقه عبر العصور عن طريق قضاتها، ونظم محاكمها المنتشرة، كما أن الفقه هو أساس التشريعات التي أصدرتها الدول الإسلامية وخلفاؤها وسلاطينها في الحقب المتوالية، وإن لم يتطابق معها».

يناقش الكتاب أصل فلسفة النظام القانوني، وعلاقته بأصول الفقه، واستمداده الفكري للمنطلقات الشرعية الفقهية وعلاقتها بالواقع القانوني العالمي، ويذكر المؤلف في أحد تقريراته: «والحقيقة التي أؤمن بها أن النظر الفقهي لن يتقدم بانفصاله عن نظيرة القانوني، كما آن النظر القانوني لن يتحقق له ما يصبو إليه من تقدم إلا بالتفاعل مع مناهج النظر الفقهي» ثم يعرض تجربتين تاريخيتين تؤكدان صحة ما توصل إليه..

الكتاب يقع في ٨٤٧ صفحة، من إصدارات دار نهوض للدراسات والبحوث، من إصدارات عام ٢٠٢٠م.

سياسات النشر في مجلة أوج

أن يندرج المقال في المجالات الفكرية، والثقافية.

أن يراعي المقال شروط الكتابة العلمية الموضوعية، ويتسم بالجدة.

أن يكون المقال لم يسبق نشره.

أن تكون لغة المقال سليمة نحويًا ولغويًا.

أن يكون حجم المقال يتراوح ما بين (٧٥٠ - ٣٠٠٠) كلمة، ويستثنى من ذلك حسب أهمية الموضوع وتميزه.

يتم إرسال المقال عبر بريد المجلة : aog@dalailcentre.com